ارتقاء مهارات المحاجاة

دراسة مستعرضة لفئات عمرية متنوعة من الطلاب المصريين

د. طريف شوقي محمد فرج

أستاذ علم النفس المساعد

كلية آداب بني سويف – جامعة القاهرة

مقدمة :

يعتبر التغير من السمات المحورية التي تميز الظواهر النفسية والذى قد يتخذ وجهة إيجابية نحو مزيد من الإتقان ، والتآزر ، والتمايز فيصبح حينئذ ضربا من الارتقاء ، أو يسير في الاتجاه المغاير – السلبي– فيصير تدهورا ، والمحاجاة كظاهرة نفسية ينطبق عليها تلك السمة أيضا ، فعلى سبيل المثال قد يجد فتى في مقتبل عمره صعوبة في تفنيد حجج طرف آخر لا يتفق معه بشأن مسألة ما ، أو إقناعه ، في المقابل ، بما يتبناه من آراء بيد أن الموقف قد يختلف عندما يصبح راشدا حيث يتمكن من القيام بهاتين العمليتين بنجاح ، وهو ما يعني في قاموسنا النفسي أن تلك المهارات الحجاجية قد ارتقت لديه ؛ ومن ثم فإننا بحاجة إلى الوقوف على مظاهر هذا الارتقاء وكيفية حدوثه وطبيعة المتغيرات المسئولة عنه ، بيد أن اهتمامنا في البحث الحالى سينصب فقط على الكشف عن مظاهر الارتقاء في مهارات المحاجاة لدى الفرد عبر فترات عمريه متتابعة من منطلق أن تلك الخطوة الوصفية تعد مقدمة ضرورية لفهم محددات وآليات هذا الارتقاء توطئة للتحكم فيه بصورة مخططة من خلال تصميم برامج

تدريبية مقننة تهدف إلى تحسين مستوى تلك المهارات لدى من يعانون من جراء انخفاضها .

حرى بالذكر أن ظاهرة المحاجاة أصبحت تنال اهتماما علميا ملحوظا في الحقبة المعاصرة من باحثين في تخصصات مختلفة بدءً من علماء النفس ، وانتهاءً بعلماء البلاغة ، ومروراً بعلماء القانون ، والسياسة ، والإعلام ، والإدارة ، والدين أيضا لأسباب عديدة منها :

١. **ينخرط الناس** ، بمعدلات متفاوتة ، في حياتهم اليومية في عمليات محاجاة حول قضايا متنوعة تتعلق بحالة المجتمع وشئونه المصيرية من قبيل وضع المرأة ، والأقليات ، والسياسات الاقتصادية والاجتماعية فضلاً عن المسائل والأمور الشخصية ، وتمكنهم المحاجاة من التعبير عن وجهات نظرهم ، وتعديلها على نحو يجعلها أكثر وضوحاً واتساقا ، وفهم الأمور بصورة أفضل مما ييسر عليهم اتخاذ قرارات أكثر دقة حولها ، وهي عملية أساسية في الديموقراطيات المعاصرة التي يعد الدخول في مناظرات حول تلك الأمور من ملامحها البارزة (Mcreck, 1990, 7-9).

٢. **تبدأ** المحاجاة عادة حين يكون هناك اختلاف وتعارض بين وجهات نظر لأطراف متعددة حول مسألة معينة ، وتستمر حتى ينتهي ، ومن هنا يمكن القول بأن المحاجاة آلية لحل الصراعات (Johnson & Roloff, 1998) ، وفض النزاعات ، وإزالة سوء التفاهم المتبادل بين الأطراف المختلفة ، وانطلاقا من هذا التصور يشير " شولتز " Shultz إلى أن الأفراد الأكثر قدرة على المحاجاة يسهمون بقدر أكبر في حل المشكلات داخل الجماعة (Rancer et al, 1997; Kumar, 1997) ، اعتمادا على عمليات من قبيل

إقناع الآخرين بأدلة الفرد ، وتفنيد دعاواهم ضده ، وفي المقابل فإن الفرد الذى قد يفشل في إدراك واستخدام المحاجاة كوسيلة لحل الصراع فإنه قد يلجأ إلى طرق أخرى أقل تحضرا كأن يعتدى على الطرف الآخر ، أو يهينه ، أو ينسحب من المناقشة (الموقف) ، أو يظهر ردود فعل دفاعية ، مما يقلل من احتمال التوصل إلى اتفاق حول المسألة بل وقد يؤجج الصراع حولها (Johnson & Roloff, 98) .

٣. إن الدخول في محاجات متنوعة ينمي مهارات المحاجاة لدى الفرد ويجعلها أكثر قوة ، وينشط جهاز المناعة الحجاجية لديه حيث يسعى لتفنيد الحجج المضادة ، وإنتاج حجج جديدة لإقناع الآخرين بموقفه فضلا عن أنها تعلمه تحمل الاختلاف ، وتجنب تصعيده، وفي الجهة المقابلة فإن تحاشي التعرض لتلك المواقف الحجاجية يؤدي إلى ضعف تلك المهارات ، وبالتالي استبعاد فرصة أن يتعلم الفرد من خلالها كيف يتحدث في صميم المشكلات التي يهتم بها، ويتناقش حولها ، ويكتسب مهارة الوصول إلى حلول لها (فيشر وبراون ، ١٩٩١ ، ٣٩) ، وهو أمر غير مطلوب بالطبع، ذلك أن الخلافات بين الآخرين متوقعة دوما ، ولا تنتهي عادة بإقناعهم بما نريد أو اقتناعنا بما يريدون ، بل أنها قد تستمر على حد قول " تراب وولف " Trapp & Wolf لأيام أو شهور ، أو سنوات ، أو ربما مدى الحياة (Johnson & Roloff, 1998) .

٤. هناك مؤشرات عديدة تشير إلى أن القدرة المرتفعة على المحاجاة ترتبط إيجابيا بالصحة النفسية للفرد ، ورضاه عن ذاته ، وتبنيه مفهوما إيجابيا لها ، وقدرته على التأثير في الآخرين ، ومقاومة عمليات فرض الهيمنة عليه من قبلهم ، وثمة أدلة إمبيريقية تدلل

على صحة ذلك ، فعلى سبيل المثال أشارت دراسة أجراها " انفنت" Infant, 92 إلى أن مرتفعي المحاجاة أدركوا على أنهم أكثر كفاءة اتصاليا وانفتاحا عقليا ، وقدرة على التعلم ، وحل المشكلات ، ولديهم قدرا مرتفعا من تقدير الذات (Rancer et al, 1997) ، وإذا حاولنا فهم ديناميات تلك النتائج سنجد أنه من شأن اشتراك الفرد في محاجات متكررة مع آخرين ، وحصوله على بعض المزايا في أعقابها أن يزيد من ثقته بنفسه من جهة ، وأن يغريه بالدخول في محاجات أخرى جديدة من جهة أخرى مما يعنى ضمنا مزيد من التدريب والتنمية لتلك المهارات الحجاجية فيما بعد، ومن ثم زيادة تقديره الإيجابي لقدراته ومن ثم لذاته ، كذلك فكونه أكثر انفتاحا عقليا يمكن فهمه في ضوء أن الاشتراك المتكرر في عمليات محاجاة يساعده على استكشاف وجهات النظر الأخرى حول الموضوعات المطروحة مما يزيد من حجم معلوماته ، ودقتها، حولها على نحو يجعله أكثر قدرة على تقييم الأمور بصورة متوازنة ،وبدرجة أكبر من الموضوعية . أما فيما يتصل بأنه أكثر قدرة على التعلم فإن ذلك يعزى إلى أنه يتعلم من الطرف الآخر معلومات جديدة حول جوانب نوعية من القضايا المطروحة فهو يعرف المزيد من الاعتراضات على وجهة نظره ، والأدلة التي تدعم الوجهة البديلة ، ويتعلم كيف يكون حججا جديدة باستخدام المعلومات المتاحة من كل الأطراف الأخرى . ويشير " بونانتو وفازيلو " في هذا الصدد إلى أن نجاح المحامين المخضرمين يعتمد على استخدامهم الفوري On Line Use للمعلومات من معارضيهم أي أن المحاجاة وفقا لهذا التصور وسيلة فعالة للتعلم ، وترشيد مسار التفاعلات ، والاتصالات مع الآخرين (Bonainto & Fasulo,1997) ويجب أن يكون واضحا في الأذهان أن تنمية تلك

المهارات سواء بشكل مباشر من خلال برامج نظامية مقصـــودة ، أو غير مباشر من خلال عمليات التعلم والتنشئة الأســرية ، يســهم في صقل شخصية الفرد ، ويجعلها أكثر توازنـــا ، وقــوة ، وأقــل عرضة للاضطرابات النفسية ، وهو ما يعد نواة لبناء فـــرد أكــثر رقيا وتحضرا ، وخاصة أن من بين مؤشرات التحضر القدرة علـى حل الصراعات سلميا بالمنطق والحجة وليس بالأذرع والركــلات ، وهناك مزايا أخرى قد يجنيها الفرد من إتقان مهارات المحاجاة مـن قبيل أنها تجعل الآخرين يضعون وجهة نظـــره فـــي اعتبـــارهم ، وتساعده على الدفاع عن حقوقه الخاصة ، والتـــأثير النســبي فـــي سلوك الآخرين (ibid) وفي المقابل فإن ضعف هـــذه المـــهارات لدى الفرد قد يرتبط بعدد من العواقب السلبية مثل انخفاض احتمـــال حل المشكلات التي يواجهها ، وعدم إدارة الصراعـــات الشـــخصية بصورة فعالة ، ولوم الذات ، وخاصة حين يصعب عليه الدفاع عـن أو توضيح رأيه في موضوع ما بيد أن الإفراط في اســـتخدام هـــذه المهارات لدى من يحوزون قدرا مرتفعا منها قد يؤدي في حـــالات معينة ، إلى إثارة بعض المشكلات مع الآخرين قد تصل إلى إنـــهاء علاقة حميمة مع صديق أو حتى مع شريك الحياة .

٥. نظرا لعمليات التغير الاجتماعي والثقافي المتسارعة في ثقافتنا ومـا تنطوي عليه من احتمالات مقاومـــة للجديـد ، وتشـبث بالسـائد المألوف، وتفاوت في تقبل ما يترتب على تلك التحولات من آثـــار من قبل فئات وطوائف مجتمعية متنوعة ، فضلا عن تباين رؤاهـــا حول وجهة تلك التغيرات وغاياتها ، بـــل ومشـــروعيتها أيضـــا ، بضاف إلى ذلك تدني [illegible] كفالة الدفاع عن ، وتوسيع مدى [illegible] وتراكيز ما [illegible] ممارسة قدر أكبر [illegible]

الإقناعي العقلاني معه سواء في البيت ، أو المدرسة ، أو المنظمات الصناعية والمنشآت الخدمية ؛ لذلك كله فنحن في حاجة لنشر وتنشيط ثقافة المحاجاة ، وتشجيع الناس على نقد الأفكار وتنقيحها من خلال عمليات المحاجاة كبديل ضروري لعمليات التعصب والانغلاق الفكري وأحادية الرؤية . وعلى الجانب الآخر – الشخصي – فإن البعض قد يسعى لإقناع الفرد واستمالته لتغيير اتجاهاته ومعتقداته ، والتي يعتقد أنها صائبة ، حول موضوعات ما من قبيل دعوته للتخلي عن عادة اجتماعية إيجابية كتقدير الأكبر سنا ، أو احترام الوقت ، أو الإقبال على القراءة ، والاهتمام بالشأن العام ، ومن ثم فإن قدرة الفرد على مقاومة تلك الضغوط مرهونة بتسلحه بقدر مرتفع من المهارات الحجاجية حتى يتمكن من مواجهتها بطريقة عقلانية ، بل وإقناع الآخرين في الوقت نفسه بإجراء مراجعة لذلك المنحى التدخلي لانخفاض جدوى تلك الممارسات .

نظرا لما تتمتع به المحاجاة من أهمية – كما أوضحنا أنفا – على المستوى الشخصي والمجتمعي فقد شرع العديد من الباحثين في إجراء بعض الدراسات حولها ، وهي وإن كانت محدودة إلا أنها في طور التكاثر، وقد ركزت تلك الدراسات بشكل عام على تحليل بنية المحاجاة ، وطبيعة الاتجاهات نحوها ، وعلاقتها بغيرها من المتغيرات مثل العدوان ومفهوم الذات ، فضلا عن كيفية تنميتها لدى الفئات العمرية المتنوعة وبوجه خاص لدى الطلاب ، أما الدراسات التي عنيت بدراسة ارتقاء مهارات المحاجاة بوجه خاص فهي محدودة ، وركز غالبيتها على دراسة الارتقاء الحجاجي بصورة غير مباشرة وذلك من خلال دراسة ارتقاء العمليات المعرفية مثل الاستدلال بمهاراته الرئيسية الثلاث ، وهي

الاستقراء والاستنباط ، والاستنتاج ، على أساس أن هذه العمليات متضمنة بشكل رئيسي في المحاجاة ، ومن ثم فإن ارتقاءها يعني ضمنا ، ويترتب عليه ارتقاء مهارات المحاجاة .

أما الدراسات التي عنيت بارتقاء مهارات المحاجاة بصورة مباشرة فتمثل النقد الرئيسي لها في أنها ركزت على مهارات نوعية حجاجية دون غيرها ، وفي مدى عمري محدود (Galotti, 1990; Rancer et al, 1997; schaffer, 1993; messell, 1996)

لكل ما سبق ذكره من أسباب فضلا عن ذلك الغياب النسبي لتلك النوعية من البحوث في المجال النفسي في مجتمعاتنا العربية عامة والمصرية خاصة ، لذا فنحن في حاجة لدراسة المحاجاة من زواياها المتنوعة ، وستتمثل الزاوية التي سينصب عليها اهتمام هذا البحث في الكشف عن مظاهر ارتقاء مهارات المحاجاة عبر العمر ، وبصورة أكثر تحديدا عبر الحقبة العمرية الممتدة من ١٢ حتى ٢١ عاما .

مشكلة الدراسة :

في ضوء الاستعراض المبدئي للموقف الراهن للبحوث الخاصة بارتقاء مهارات المحاجاة يتقدم الباحث لإجراء تلك الدراسة بهدف الإجابة عن التساؤلين التاليين :

- ما مظاهر التغيرات الارتقائية التي تطرأ على مهارات المحاجاة النوعية في الحقبة العمرية الممتدة من ١٢ حتى ٢١ عاما ؟
- هل هناك فروق في تلك التغيرات الارتقائية بين الذكور والإناث في تلك الحقبة العمرية ؟

مفاهيم الدراسة :

قبيل التقدم للإجابة عن تلك التساؤلات حرى بنـــا تقديـــم تعريـــف إجرائي للمفاهيم الرئيسية المستخدمة في تلك الدراسة والتي تتمثل في :

١- المحاجاة Argumentation :

يعرفها " ميزريمر " Misrimer بأنها " أن يتبنى شـــخص رأيـــا ، ويبرهن على صحته من خلال أدلة متنوعة " Czechminst & Johnson, (1992 ، وهو تعريف يتسم بالجزئية حيث يقصر المحاجاة على عنصـــــر الدفاع عن الآراء الشخصية ولا يضمنها عناصر أخرى تعد ضرورية فيها مثل تفنيد حجج الطرف الآخر ، ويقدم " ديك " في المقابل تعريفا مفرطـــا في العمومية فهي لديه " حالة من عدم الاتفاق والخلاف بين طرفين حـــول قضية معينة " (Decyk, 1994) ، ويتبنى " انفنت ورانسر " منحى أكـــثر شمولا وتمايزا أيضا حيث يعرفانها بأنها " دفاع الفرد عن المواقف والآراء التي يتبناها حول قضايا معينة ، وهجومه على ، وانتقاده لآراء الآخريـــن المخالفة له حولها " (Rancer et al, 1997) ، ويلاحظ أن ذلك التعريـــف ذات طابع ثنائي (تفنيدي - إقناعي) ، ويؤكد كل من "جاكسون وجـــاكوبس" على ذلك التصنيف الثنائي للمحاجاة حيث يشيران إليها بوصفها " عبـــارات تتضمن اختلافا صريحا بين طرفين أحدهما يقترح تصـــورا أو رأيـــا مـــا ويرفضه الأخر ، أو يعارضه برأي مضاد ، ويدعم كـــل منـــهما موقفـــه بحجج جديدة (Jackson & Jacobs, 1980) .

حرى بنا التنويه إلى مسألتين مهمتين ونحن بصـــدد تمثـــل تلـــك التعريفات للتوصل إلى تعريف إجرائي للمحاجاة في الدراســـة الحاليـــة ، وهما :

- ركز العديد من التعريفات السابقة على عملية تفنيد وجهة نظر الطرف الآخر في المحاجاة ، وكما هو معروف فإن التفنيد Refutation " عملية يتم بموجبها إثبات أن حجة الطرف الآخر أو النتيجة المترتبة عليها ، أو المستمدة منها ، زائفة أو خاطئة أو ذات قيمة مشكوك فيها " (Verderber, 1991, 332) ، وهو ما يعطى انطباعا بأن المحاجاة عملية ذات طابع نزاعي - صراعي، على الرغم من أن المحاجاة عملية تفاعلية يسعى كل طرف فيها بجانب تفنيد وجهة نظر الطرف الآخر ، إلى إقناعه في نفس الوقت بوجهة نظره حتى تصبح المحاجاة مثمرة وثمة أهداف يجنيها الفرد من الاشتراك فيها .

- توحي بعض التعريفات بأن المحاجاة يجب أن تتم في موقف مواجهة أي تفاعل مباشر بين طرفين ، فهي كما يشير " ريبز " دعوى يطرحها الطرف الأول يتبعها استجابة من الطرف الثاني "، أو كما يقول "جاكسون وجاكوبس " قضية يطرحها طرف ويرفضها أخر " (Jackson & Jacobs, 1980) ، مع أن هناك إمكانية لأن تتم المحاجاة في موقف لا يتضمن المواجهة المباشرة بين طرفيها، كما يحدث في المعارك الصحفية أو النزاعات الفكرية على صفحات الكتب ، أو حتى داخل الفرد نفسه بين موقفين متصارعين حول قضية واحدة .

في ضوء استعراض التعريفات السابقة والوقوف على العناصر الرئيسية المتفق بين الباحثين عليها فيها فإننا **سنعرف المحاجاة إجرائيا في** هذه الدراسة بأنها: قدرة الفرد على تفنيد ودحض حجج الطرف الآخر بالأدلة والبراهين الاستدلالية والواقعية ، وحثه على التخلي بها ، والدفاع

في الوقت نفسه عن آرائه وتقديم حجج لإقناع الطرف الآخر بها ، وذلك حين يتحاجون حول قضية خلافية معينة .

أي أن المحاجاة تبعا لهذا التعريف تتضمن عمليتين محوريتين هما: التفنيد والإقناع ، وأن المادة الخام فيها هي الحجة والتي تشير إلى الاستدلال على صدق الدعوى أو كذبها ، وهي مرادفة للدليل . أي أن الحجاج جملة من الحجج التي يؤتي بها للبرهان على رأي أو إبطاله بواسطة مجموعة من العبارات والمقدمات التي تؤدي إلى نتائج ، وبما أنه من المفترض وجود صلة وثيقة ، واعتماد متبادل بين المحاجاة ، وكل من التفكير الناقد ، والاستدلال ، لذا فإن فهمنا للمحاجاة لن يكتمل إلا من خلال تحديد علاقتها بكل منهما ، وسيكون ذلك على النحو التالي :

أ. **التفكير الناقد Critical thinking والمحاجاة :** يشير " هالبرن " إلى أن المحاجاة تعد إحدى المهارات الفرعية للتفكير الناقد ، فالتفكير الناقد لديه يتضمن مهارات متعددة قوامها " التحليل والاستدلال ، والتأليف ، والتطبيق ، والتقييم ، والمقارنة ، والتحقق، والتفسير ، والمحاجاة " (Halpern, 1994; 1998) ، أي أن العلاقة بينهما علاقة الخاص بالعام ، ويذهب " زشمستر وجونسون" مذهبا مماثلا حين يقرران أن التفكير الناقد يتضمن القدرة على تقييم الحجج (Zechmester & Johnson, 1992, 284) ، بيد أن الرأي الأرجح لدينا أن المحاجاة عملية مستقلة نسبيا عن التفكير الناقد على الرغم من أنه يستخدم فيها بصورة مكثفة وبوجه خاص في ثنايا عملية تفنيد حجج الطرف الآخر ، وتقييم مدى صدقها ، واكتشاف ما بها من مغالطات ، ومدى اتساقها الداخلي ، والتزامها بالقواعد المنطقية ، وفحص مدى ارتباط الأدلة بالدعوى التي تثبتها ، ذلك أن الاعتماد على التفكير الناقد يتضاءل في الجزء الخاص بإقناع

الطرف الآخر بحجة الفرد واستمالته إليه حيث يعتمد الفرد على عناصر أخرى فيها مثل اعتبار الآخر ، والمرونة العقلية ، وهي عناصر غير متضمنة في التفكير الناقد .

ب. **الاستدلال Reasoning والمحاجاة :** يعرف الاستدلال بأنه " نمط من التفكير يسير فيه التفكير من حقائق معروفة أو قضايا مسلم بها إلى معرفة المجهول الذى يتمثل في نتائج ضرورية لتلك القضايا على المستوى الذهني ، وأنه يتضمن ثلاث مهارات فرعية هي : الاستنباط (الانتقال من القاعدة العامة وتطبيقها على الجزئيات والحالات الخاصة) والاستقراء (التوصل إلى القاعدة العامة من الجزئيات والحالات الخاصة) والاستنتاج (التوصل إلى نتيجة معينة من مقدمات وبيانات متوفرة" (سلطان ، ١٩٨٦) .

وحرى بالذكر أن بعض الباحثين ينظرون لمفهوم الاستدلال والمحاجاة كمترادفين (Mcpeck, 1990, 4) على أساس أن المحاجاة مجموعة من المقدمات التي نستدل منها على نتيجة تثبت صحة ما ندعيه أي أنها عبارة عن استدلال . ويذهب " جالوتي " مذهبا مغايرا حيث ينظر إلى المحاجاة ، أو عملية تقييم الحجج ، كجزء من عملية الاستدلال (Galotti, 1990) ، إلا إن الباحث يرجح أنهما مفهومان مستقلان بينهما علاقات متبادلة قوية فعلى الرغم من أن المهارات الاستدلالية تعد من العناصر الرئيسية المستخدمة في المحاجاة ، وبوجه خاص في عمليات دعم الأدلة الشخصية ، والدفاع عنها ، وإقناع الآخر بها من خلال الحجج الاستنباطية والاستقرائية ، إلا أنه من بين مؤشرات استقلاليتها أن المحاجاة تتضمن عناصر أخرى بجانب المهارات الاستدلالية من قبيل استخدام الأسئلة بأنواعها سواء كانت استفهامية أو استنكارية أو تعجبية

فضلا عن الاستشهادات الدينية والتاريخية ، والعبارات المثـــيرة انفعاليـا لتحقيق أهداف الفرد في المحاجاة .

٢- الارتقاء Development :

ويشير إلى التغيرات السلوكية الإيجابية التي ترتبط ارتباطا منظمـا بالعمر الزمني (أبو حطب ، وصادق ، ١٩٩٥ ، ٢٠) ، والتي تنطـــوي على زيادة إضافية في مقدار الخاصية أو الصفة السلوكية ، وهي مـهارات المحاجاة في سياقنا الحالي .

عقب تقديم تعريفات إجرائية للمفاهيم الرئيسية في الدراسة ننتقـــل لإستقراء الجهود البحثية السابقة في مجال المحاجاة وبوجـــه خـــاص مـا يتصل منها بمظاهر التغير في مهارات المحاجاة حتى نوظف تلك المعرفـة في ترشيد خطى البحث وبلورة فروضه توطئة للتحقق منها منهجيا ، وفيما يلي بيان ذلك .

الإطار النظري والدراسات السابقة :

حين أجرينا مسحا للجهود البحثيـــة المتعلقـــة بموضـــوع ارتقـــاء مهارات المحاجاة تبين في ضوء ما أمكننا الوصول إليه من دراسات أنـــها تنتظم في فئتين كبريين هما :

أولا : دراسات تناولت ارتقاء مهارات المحاجاة بطريقة غير مباشرة:

أولت تلك الفئة من الدراسات ارتقاء المهارات الاستدلالية اهتمامـــا خاصا على اعتبار أن تلك المهارات ضرورية وتستخدم بصورة مكثفة فـــي عمليات المحاجاة ، ومن ثم فإن ما نصل إليه من نتـــائج بشـــأن ارتقائـــه ينسحب ضمنا على ارتقاء تصورات تلاميذ لطبيعـــة ومظـــاهر أداء

مهارات المحاجاة وفقا لمبدأ المماثلة ، ومن أبرز المحـــاولات فـــي هـــذا المجال تلك الدراسات التي أجراها كل من " جالوتى وكونـــلتس " Galotti & Konnatts, 89 وكذلك دراسة " كيرتون وزملاؤه " Qerton et al, 87 والتي أوضحت أن مهارات الاستدلال تصبح أكثر تكـــاملا إبـــان مرحلـــة المراهقة ، ومن مظاهر ارتقاءها استخدام المراهق لاســـتراتيجيات أكـــثر كفاءة في إنجاز المهام المكلف بها ، وإدراكه أن هناك أكثر من تفســـير أو حل محتمل للمشكلة ، وقدرته على تقديم تعريفات محددة للمفـــاهيم التـــي يتعامل معها ، ومزج الاحتمالات المطروحة للحل فـــي نســـق (Galotti, 1990) وهي كما نرى مهارات من شأنها رفع كفاءة المراهق الحجاجية .

وفي تجربة أجراها " بيل " Peel, 72 لبيان كيف يتطور التفكـــير التفسيري خلال مرحلة المراهقـــة علـــى أولاد تـــتراوح أعمـــارهم بيـــن (١٠ - ١٤) عاما تبين أن قدرة المراهقين على الإحاطـــة بالاحتمـــالات المتعددة لتفسير المشكلة تتزايد عبر العمر ، وأن التفكير علـــى المســـتوى الافتراضي للتفسيرات البديلة وإدخال عناصر متنوعة جديدة في الموقـــف لفهمه يتزايد أيضا . وفيما يتصل بارتقاء التفكير الاحتمـــالي الافـــتراضي يشير بياجيه إلى أن الطفل يكتسب القدرة على الانتقال من التفكير الواقعـــي الحقيقي إلى التفكير الاحتمالي الافتراضي في الثانية عشرة مـــن عمـــره ، والذى يتمكن بموجبه من تخيل وافتراض ما يمكن أن يحدث (الطـــواب ، ١٩٩٧ ، ٣٥٠ - ٣٥١ ؛ Croven, 1876) وتتمثل أهمية ذلك النمط مـــن التفكير في أنه يساعد الفرد عل توليد الحلول الممكنة للمشـــكلة وتقييمـــها لتحديد الأفضل منها (Schaffer 1993, 260) ، ومن ثم فإن نمـــوه لـــدى الفرد يسهم في زيادة قدرته على إدارة الاختلافات في الرأي مع الآخريـــن إبان المحاجاة ، والتي تتطلب قدرة أكبر على افـــتراض حلـــول بديلـــة ،

والتنبؤ بما يترتب عليها ، واختبارها عقليا قبل قبولها بصورة يمكن معها ، حينئذ ، تلاقى أثارها السلبية .

ثانيا : بحوث تناولت ارتقاء مهارات المحاجاة بصورة مباشرة :

ركزت هذه الفئة من البحوث على طبيعة مظاهر الارتقاء عبر العمر في بعض المهارات النوعية للمحاجاة وبوجه خاص المهارات التالية:

١- التمركز حول الذات - اعتبار منظور الآخر :

يتصور الطفل في مراحل نموه المعرفي الأولى - قبيل السابعة - بموجب مفهوم التمركز حول الذات أن الناس جميعا يفكرون مثله ، ويرون ما يرى ، وبالتالي فهو لا يتوقع أن تكون لهم وجهات نظر مختلفة عن وجهة نظره ، ومن ثم لا يدرك التعددية المحتملة في وجهات النظر ، وبناء على ذلك فهو غير محتاج لتوضيح رأيه ، ولا إقناع الآخرين به (الفقي ، ١٩٩٤ ، ٨٣) ، وبطبيعة الحال فإنه في ظل تلك الحالة لا يكون هناك مبرر لعملية المحاجاة ، وبذا يقل انخراط الطفل في عمليات محاجاة مع الآخرين ، وهو ما يقلل احتمالات تنمية المهارات الخاصة بها . بيد أنه في مرحلة نمائية لاحقة تحدث عمليات ينخفض بمقتضاها التمركز حول الذات ، ويميل الفرد لاعتبار منظور الآخر والسعي للتعرف على وجهة نظره حول الموضوعات المتنوعة ، والمحاجاة معه بشأنها في حالة اختلافها عما يراه . وتقدم البحوث دعما للتصور القائل بأن القدرة على اعتبار الآخر تنمو بالتدريج وتصبح أكثر وضوحا في سن الرشد (Schaffer, 1993, 254) ، وتشير بحوث " كلارك وديلين " Clark &

Delin, 76 أن الأطفال في سن الثامنة يستطيعون تقديم حجج تتضمن قدرا قد لا يكون كبيرا – من اعتبار منظور الآخر ، وأن هذا القدر يزداد كلما أصبحوا أكبر عمرا ، وأنهم كما يقول " فنيانس وميركل " Finuance & Merkel , 94 يستخدمون تلك القدرة في عمليات المحاجاة التي يقومون بها (Rancer et al, 1997) . وسنحاول في البحث الحالي رصد التغيرات التي تطرأ على هذه المهارة عبر المراحل العمرية المتتابعة التي سنكرس جهودنا لبحثها .

٢- المماثلة Analogy :

يعرفها علماء البلاغة Rhetoricians بوصفها إحدى المهارات الحجاجية التي تقوم على عقد مقارنات بين الأشياء على أساس أنه إذا كان هناك شيئان يشبهان بعضهما من بعض الوجوه ، فإن القضية التي تصدق على أحدهما تصدق على الآخر ، ويشير " ماكلوسكي وكومبس " Mcclosky & Combs إلى أن الرسالة التي تتضمن عمليات مماثلة تؤدي إلى تغيير أكبر في اتجاه المتلقين من التي لا تحتوي عليها (Messell, 1996) ، ويطلق البعض على تلك العملية الاستدلال التمثيلي ويعتبرونه أحد أشكال الاستدلال الاستقرائي ، ويشيرون إلى أن أهميته تكمن في أنه يعمل على امتداد معرفتنا بالأشياء من خلال ربط ما نفهمه بما لم نفهمه بعد . أنه وسيلة لنقل المعرفة من مجال معروف إلى مجال غير معروف ، وهو ينمو في المرحلة الصورية على مشارف مرحلة المراهقة ، وكنموذج له المثال التالي : " الطير يستخدم الهواء كما يستخدم السمك ..... " (Small, 1990, 304) . ومن المتوقع أن تظهر تلك المهارة بصورة أكثر بروزا في العينات الأكبر عمرا (الثانوي والجامعة) وليس في الإعدادي، وهو ما سنعمل على التثبت منه في الدراسة الحالية .

٣- الحجج الشرطية Conditional arguments :

ويفترض أنها تعد أحد أشكال الاستدلال الاستنباطي ، والتي تتضمن علاقة شرطية بين متغيرين أو قضيتين (إذا حدث أ إذن سيحدث ب) ، ويمكن أن تأخذ الحجة الشرطية أربعة أشكال *، وهناك القليل من البحوث التي أجريت حول ارتقاء هذه الحجج من قبيل تلك التي قام بها "تابلين" Taplin, 71 حيث وجد أن معظم الأطفال يقعون في أخطاء أكثر بالنسبة لتلك النوعية من الحجج ، وأنه يصعب عليهم تقدير مدى صدقها بيد أن هذه النسبة تنخفض بدرجة دالة لدى طلاب الجامعة الذين نجحوا في استخدامها بمعدل اكبر ، وبقدر أكثر ارتفاعا من الصحة أيضا ، وقام "روبيرج" Roberg, 70 بإجراء دراسة على طلاب من الصف الرابع، والسادس ، والثاني الإعدادي ، والأول الثانوي (العاشر) بالولايات المتحدة ، وقدم لهم تلك الأشكال الأربعة للحجج الشرطية ، ووجد أن طلاب الصف الأول الثانوي فقط هم الذين استطاعوا فهم تلك الحجج الافتراضية المعقدة (٢٠% منهم فقط) والتي تأخذ شكل : إذا كانت " أ " صحيحة ستصبح "ب" صحيحة في ظل شروط معينة " ، وفي دراسة أخرى أجرتها "رومين وزملاؤها " Rumain et al , 83" على طلاب جامعيين مقارنة بطلاب في الصف الخامس الابتدائي حول مدى فهم واستخدام الحجج الشرطية تبين أنه يصعب على أطفال سن العاشرة مقارنة بالجامعيين اكتشاف المغالطة في الحجج الشرطية ، والافتراضية منها خاصة ، فضلا عن أنهم يجدون صعوبة في التمييز بين الاستدلال الاستنباطي والافتراضي (Ibid, 339-343).

---

* لمزيد من التفاصيل حول تلك الأشكال انظر : (Small, 1990)

نخلص من هـذا أن مـهارة التعـامل مـع الحجـج الشـرطية، والمفترضة، لا تظهر بوضوح سوى في المرحلة الثانوية ، وقد تظهر قبـل ذلك قليلا ، وفي كل الحالات فنحن في حاجة للوقوف على ذلـك المـدى الزمني الذي يشيع فيه ظهور واستخدام تلك المهارة في عمليات المحاجـاة في سياقنا الثقافي .

٤- التحيز الذاتي وكشف المغالطات :

يميل الفرد حين يكون لديه دافع للوصول إلى نتيجة معينـة إلـى التحيز في الحكم ، وتقييم المعلومات بصورة متسقة مع النتيجة المرغوبة ، ونقدها بدرجة أقل من المتعارضة معها ، والميل للبحث عـن معلومـات تؤكد اختياره ، وتجاهل ما يتعارض معها ، حتى يعقلن النتيجة المتحـيزة ، وهو ما يسـميه " كونـدا " Kunda الاسـتدلال المسـتحث Motivated Reasoning (Boiney et al, 1997) ، وبما أن المـهارات الاسـتدلالية تستخدم بشكل موسع في المحاجاة ، وحيث أنها عرضة لتلك التحيزات فـإن مهارات التحكم في واكتشاف التحيز الاستدلالي الذاتي فضلا عن تحـيزات ومغالطات الآخرين تعتبر من بين المهارات التي تزيد من كفاءة عمليـات المحاجاة بشقيها التفنيدي والإقناعي . وفي دراسات متعددة أجرتها كوهـن وزملاؤها Kuhn et al, 89; 91; 95 حول عمليـات التحـيز الاسـتدلالي اتضح أن الاستدلال الأقل تحيزا (الموضوعي) يتحسن قليلا من الطفولـة المتأخرة إلى المراهقة المبكرة ، ووجد " شـوبل " Shauble أن الأطفـال والمراهقين نادرا ما يضعون في اعتبارهم عامل خطأ القيـاس كعنصـر مؤثر في النتائج إلا إذا كان هذا الاحتمال سيؤدي إلـى دعـم معتقداتـهم السابقة ، وتشير " رينا وبرينارد " Reyna & Brainerd, 95 إلـى أن القدرة على كف التحيزات المعرفية تزيـد مـع العمـر ، وبالتـالي تقـل التحيزات الاستدلالية عبر العمـر ، وخاصـة أثنـاء مرحلـة المراهقـة

(Klaczynski & Narasimham, 1998) ، مما يعني قدرة أكبر على إدارة عمليات محاجاة مثمرة تهدف إلى الوصول إلى التفسيرات الحقيقية وليس مجرد إثبات صحة وجهة النظر الشخصية وتفنيد وجهة نظر الطرف الآخر ، وفي المقابل لم يجد " كلازنوسكى " Klaznsk, 97 فروقا في التحيز الاستدلالي الذاتي في مرحلة المراهقة المبكرة والمتأخرة والشباب ، وكذلك لم يجد " بارون ومعاونوه " Baron et al دليلا على وجود فروق ارتقائية دالة في التحيز والاستدلال في دراستهم على أطفال في السابعة ومراهقين في الخامسة عشر ، ووجد " بيركنز " Perkins, 85 دليلا ضعيفا على أن قدرة المراهقين وصغار الراشدين على اكتشاف المغالطات المنطقية في الحوارات اليومية تتحسن مع العمر ، وذلك في بحث أجراه على (٤٢) طالب وطالبة في الصف الخامس الابتدائي ، وعينة مماثلة في العدد في الصف الثاني الإعدادي ، و عينة مكونة من (٤١) في الصف الثاني الثانوي . وقد تعزى تلك النتائج التي تكشف عن شيوع تلك التحيزات إلى أن الناس تحمي هويتها من قوة حجج الآخرين ، ويستخدمون قدراتهم الاستدلالية انتقائيا للاحتفاظ بنظرتهم الحالية للعالم (Ibid) . وعلى أية حال فنحن في حاجة لدراسة تلك الظاهرة في سياقنا الثقافي للوقوف على طبيعة التغير عبر الزمن في مهارات ضبط التحيز الاستدلالي ، والوعي به ، وكشف المغالطات المنطقية في حجج الآخرين بوصفها مهارات يتوقف عليها مسار ومدى العائد الذى يجنيه الفرد من الانخراط في عمليات محاجاة مع الآخرين .

تعقيب على الدراسات السابقة :

حين نستقرئ الدراسات السابقة – المتاحة – في مجال ارتقاء مهارات المحاجاة سنجد ثمة بعض الملاحظات التي ينبغي تسجيلها بصددها تتمثل فيما يلي :

- ركزت تلك الدراسات – في مجملها – على عناصر ومهارات نوعية للمحاجاة ، وما يطرأ عليها من تغيرات ارتقائية ، دون غيرها ، وبوجه خاص اعتبار منظور الآخر ، والتفكير الافتراضي ، والمماثلة ، والاستدلال الاستنباطي ، والتحيز الاستدلالي ، وكشف المغالطات بيد أنها لم تعنى بشكل مماثل بمهارات أخرى مهمة من قبيل : الإطلالة على جانبي المسألة المطروحة ، واستخدام الأسئلة كعنصر محوري في المحاجاة ، والتي اعتمد عليها سقراط ومن بعده تلميذه الشهير أفلاطون في محاوراته ، وكذلك الأساليب الحجاجية البارزة كالقلب ، والاستمالة الوجدانية ، والإحراج ، وهو ما يدعو إلى وضع تلك المهارات ، وغيرها ، في الحسبان في الدراسة الراهنة حتى نرصد ما يطرأ عليها من تغير كدالة للزمن .

- أجرى العديد من هذه الدراسات على عينات في أعمار صغيرة في الصفوف الابتدائية ، وامتد بعضها للمرحلة الثانوية ، والقليل منها للجامعية ، وبما أن العمليات الصورية الاستدلالية المستخدمة في المحاجاة تبدأ في الظهور – كما يشير بياجيه ومعاونوه – بصورة ملحوظة منذ الثانية عشرة ، ومن المتوقع أن تبلغ ذروتها في نهاية مرحلة المراهقة ، وبداية الرشد ، فإنه من المهم أن نضع ذلك في اعتبارنا ونجري دراستنا على مدى عمري متنوع يمتد من الثانية عشر – أي بداية المراهقة ، وتستمر حتى بداية الرشد أي في الحادية والعشرين . حتى نقف على أبرز التغيرات في المهارات الحجاجية في تلك الحقبة .

- أنصب الاهتمام في هذه الدراسات على مظاهر ارتقائية دون غيرها كالتحسن في مستوى المهارة ، أو ظهورها بعد ما لم تكن

موجودة ، إلا أنه يفترض وجود مظاهر أخرى للارتقاء من قبيل أن يأخذ التغير منحى مختلف بمعنى انحسار وضعف بعض السلوكيات الحجاجية السلبية كالتعميم المفرط ، والألفاظ التهجمية ، والأحكام المتطرفة ، وهو ما يعد أيضا مؤشرا ارتقائيا ، فضلا عن الاستخدام الفعال لأكثر من مهارة معا على نحو يشكل نمطا حجاجيا .وبناء على ذلك فإننا سنعتمد على مدى أكثر شيوعا من المؤشرات الارتقائية لمهارات المحاجاة في دراستنا على نحو يسمح لنا بالتقاط مظاهر التغير على نحو أكثر دقة وواقعية .

يضاف إلى ذلك أنه نظرا للنقص النسبي في الدراسات العربية والمصرية ، ولأن معظم الدراسات المتاحة أجريت في الثقافة الغربية ، وبما أنه من المتوقع أن تمارس الفروق الثقافية أثاراً متنوعة في طبيعة وحجم عمليات الارتقاء في المحاجاة فإن هذا يوجب علينا دراسة تلك الظاهرة على المستوى المحلي حتى نقف على ، ونرصد تلك التغيرات بصورة أكثر تحديدا .

بناء على ما سبق فإننا سنتقدم لإجراء الدراسة الحالية للتحقق من الفروض العامة التالية ، والتي يمكن بطبيعة الحال تجزئتها إلى فروض فرعية ، وهي :

١. يوجد تغيرات ارتقائية (كمية وكيفية) متنوعة في مهارات المحاجاة عبر الحقبة الزمنية الممتدة من ١٢ حتى ٢١ عاما .

٢. لا يوجد فروق دالة بين الذكور والإناث في طبيعة تلك التغيرات عبر تلك الحقبة الزمنية .

منهج الدراسة

أولا : مجتمع وعينة البحث :

تمثل مجتمع البحث في الطلاب والطالبات المصريين في المراحل الإعدادية والثانوية والجامعية ، وتكونت عينة البحث من (٣٠٠) طالب وطالبة اختيروا بالتساوي من المراحل الإعدادية والثانوية والجامعية بواقع (١٠٠) فرد في كل عينة نصفهم من الذكور والنصف الآخر من الإناث ، وكان معظمهم من المقيمين في القاهرة الكبرى ، وكان المدى العمري لعينة الإعدادي يتراوح بين (١٢ - ١٣) عاما بمتوسط قدره (١٢,٥٥ ±٠,٨٦) عاما ، والمدى العمري لعينة الثانوي يتراوح بين (١٥-١٦) عاما بمتوسط مقداره (١٥,١١ ± ٠,٥٢) عاما ، أما المدى العمري لعينة الجامعة فكان يتراوح بين (١٩-٢١) عاما بمتوسط مقداره (١٩,٩٥ ± ١,٧٥ عاما) ويلاحظ أن المدى العمري لأفراد العينة تراوح بين ١٢-٢١ عاما وهو المدى الذى يتوقع أن تحدث فيه عمليات ارتقاء بارزة في العمليات المعرفية الصورية ، وكما هو معروف فإن مهارات المحاجاة تعتمد عليها بصورة محورية ، ولكن هذا لا ينفي ارتقاء بعض تلك المهارات في أعمار قبل ذلك .

ثانيا : الأدوات :

تمثلت الأداة الرئيسية للدراسة في مجموعة من القضايا * ذات الطابع الخلافي التي يفترض أن يتجادل الفرد حولها مع شخص أخر يتبنى رأيا مختلفا عنه بشأنها ، ومن ثم يحاول تفنيد هذا الرأي وإقناعه ، في

---

* هذه القضايا موضحة بالجدول رقم (١) وتحمل الأرقام التالية : ١ ، ٢ ، ٥ ، ٧ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ .

المقابل ، بما يطرحه عليه من آراء . والمطلوب من المبحوث أن يذكر كتابة أكبر عدد من الحجج التي يفند بها رأي الطرف الآخر من جهة ، ويقنعه بواسطتها بتبني رأيه بشأنها من الجهة الأخرى .

وقد قام الباحث بإجراء عدد من الخطوات لتصميم واختيار هذه القضايا تتمثل فيما يلي :

١. في ضوء إطلاع الباحث على العديد من المناظرات، والمحاجات، والمعارك الفكرية الدائرة في السياق الثقافي والاجتماعي المصري والعربي سواء على صفحات الصحف أو الكتب أو شاشات التليفزيون فضلا عن ملاحظاته الشخصية للعديد من مواقف المحاجاة التي يرقب المحيطين به إبانها في حياته اليومية توصل إلى مجموعة من القضايا الخلافية بلغ عددها إحدى وثلاثون (٣١) قضية .

٢. نظرا لكثرة عدد تلك القضايا على نحو يصعب معه تقديمها للمبحوث مجتمعة فقد تم تقديمها إلى تسعة من المحكمين المتخصصين في علم النفس * ، وطلب منهم تقييم مدى ملاءمتها للفئات العمرية الثلاث التي شكلت عينة البحث ، وذلك على متصل من عشر درجات ، وفيما يلي قائمة تحوي تلك القضايا ومدى تقدير المحكمين لملاءمتها للعينات الثلاث يتضمنها الجدول التالي رقم (١) .

---

* يتوجه الباحث بوافر شكره وتقديره إلى هؤلاء المحكمين وهم : الأساتذة الدكاترة : محروس الشناوي ، وجمعة سيد يوسف ، ومعتز عبد الله ، وفتحي الشرقاوي ، وأحمد طنطاوي ، وشعبان جاب الله ، وسعدية محمد ، ومحمد نعيمة ، ومحمود غلاب .

جدول رقم (١)
مدى تقدير المحكمين لملاءمة القضايا الخلافية
لعينات البحث الثلاث مجتمعة

م	القضية	متوسط درجة الملاءمة	الترتيب
١	الدروس الخصوصية ضرورية لنجاح الطلاب وتفوقهم	٨,٤	١
٢	منع البائعين الجائلين من الوقوف بالشوارع والأرصفة	٧,٩	٢
٣	مطالبة الطلاب بإعادة كتبهم الدراسية آخر العام حتى يستفيد منها طلاب العام التالي	٧,٨	٣
٤	امتداد يوم العمل أو اليوم الدراسي حتى الرابعة عصرا وتصبح الأجازة الأسبوعية يومين	٧,٥	٤
٥	إنهاء الإرسال التليفزيوني مبكرا في الحادية عشرة مساء حتى نقتصد على السهر	٧,٤	٥
٦	نقل العاصمة من القاهرة إلى إحدى المدن الجديدة (توشكى مثلا)	٧,٣	٦
٧	إلغاء مباريات كرة القدم لأنها تشغل الشباب	٧,٢	٧
٨	زرع أشجار فاكهة في الطرق العامة بدلا من أشجار الظل غير المثمرة	٧,١	٨
٩	السماح بدخول الجامعة لكل من يرغب من الطلاب بدون التقيد بشرط المجموع	٧	٩
١٠	عدم توظيف النساء لتوفير فرص عمل للرجال	٧	٩
١١	إعدام المدمنين فليس هناك من فائدة في علاجهم	٦,٨	١١
١٢	إزالة الأحياء العشوائية فورا ونقل سكانها خارج القاهرة	٦,٨	١١
١٣	تحويل كل المدارس إلى مدارس لغات حتى نرتقي بمستوى الطلاب	٦,٧	١٣
١٤	تجنيد الفتيات في الجيش	٦,٥	١٤

م	القضية	متوسط درجة الملاءمة	الترتيب
١٥	يجب على كل طالب يريد دخول الجامعة العمل لمدة سنة أولا في مجال محو الأمية.	٦,٤	١٥
١٦	التوسع في عمل النساء كضابطات شرطة في الأقسام حتى تتحسن المعاملة	٦,٣	١٦
١٧	قصر مهنة التدريس على النساء لأنهن أكثر تفهما للطلاب من الرجال	٦,٣	١٦
١٨	انتخاب مديري المدارس من قبل المدرسين	٦,٢	١٨
١٩	إلغاء عقوبة السجن والاكتفاء بأن يدفع مرتكبو الجرائم غرامات مالية تتناسب مع جرائمهم	٦,١	١٩
٢٠	تشجيع النساء على العمل في المهن المقصورة على الرجال مثل الميكانيكي وسائق التاكسي وعامل البناء	٦,١	١٩
٢١	إزالة النوادي الموجودة على النيل لأنها تحجب الرؤية	٦	٢١
٢٢	القبض على المسئولين وإيداعهم بالسجن	٦	٢١
٢٣	يجب على كل طالب يريد دخول الجامعة العمل لمدة سنة أولا في استصلاح الأراضي	٥,٩	٢٣
٢٤	انتخاب مديري المدارس من قبل الطلاب	٥,٩	٢٣
٢٥	يجب أن تعمل المرأة قاضية	٥,٧	٢٥
٢٦	فرض زي قومي على كل المصريين (الجلابية مثلا) حتى تختفي ظاهرة التباهي	٥,٧	٢٥
٢٧	إلغاء الجمارك على السيارات حتى يتمكن كل فرد من شراء سيارة	٥,١	٢٧
٢٨	تولي الشباب صغار السن قيادة المؤسسات الكبرى فهم أكثر حيوية وفعالية من الشيوخ	٤,٩	١٨
٢٩	إلغاء المهور بالقانون لتيسير فرص الزواج	٤,٩	٢٨
٣٠	تعيين أعضاء مجلس الشعب بدلا من انتخابهم لنضمن أن يكونوا أكثر خبرة	٤,٨	٣٠
٣١	زواج الأبن مع أبيه	٤,٦	٣١

٣. تم ترتيب القضايا تبعا لتقديرات المحكمين ترتيبا تنازليا من أكثرها إلى أقلها ملاءمة لعينات البحث ، وارتؤى الاقتصار على (١٢) قضية منها فقط ، وهي التي حظيت بأكبر قدر من الاتفاق بين المحكمين على ملاءمتها لكل الفئات العمرية الممثلة في الدراسة .

٤. قبيل توجيه تلك القضايا للعينة الرئيسية للبحث أجريت دراسة استطلاعية عليها للتأكد من مدى أهميتها للمبحوثين ، وهل هي بالفعل خلافية من وجهة نظرهم أم لا ، وذلك بتقديم هذه القضايا إلى (١٢٠) طالب وطالبة مقسمين بالتساوي على عينات البحث الثلاث ، بيد أنه كان هناك هدف أخر لتلك الخطوة تمثل في التوصل إلى تصور مبدئي حول فئات التحليل الأساسية لمهارات المحاجاة من خلال تحليل مضمون إجابات أفراد عينة الدراسة الاستطلاعية حتى نعتمد عليها في تحليل إجابات أفراد العينة الرئيسية ، لأنه من الأفضل أن تكون فئات التحليل مستمدة من المبحوثين أنفسهم ، لا أن تكون مقحمة على المحتوى من قبل الباحث لأن هذا قد ينطوي على استبعاد مهارات محورية قد لا توجد في ذهن الباحث ولكنها موجودة في البيانات التي يدلى بها المبحوثون ، إلا أن هذا لا يحول دون وجود بعض الأفكار المبدئية لدى الباحث حول عدد من فئات مهارات المحاجاة مستمدة من استقراء التراث السابق ، واستبصاره الشخصي ، ومداولاته مع الزملاء الآخرين ، وقد توصلنا من خلال هذا الإجراء إلى (٧٢) فئة من سلوكيات المحاجاة ومهاراتها منها على سبيل المثال : استخدام إحصاءات للتدليل على صحة ما يقول الفرد ، والاستشهادات بأقوال مأثورة ، وضرب أمثلة ، والاستدلال بالخبرة الشخصية ، والاستمالة الوجدانية ، وإعادة تأطير القضية ، وكشف

تناقض الطرف الآخر ، وحشد الأدلة النافية لحجج الطرف الآخـر ، وقد شكلت تلك الفئات إطارا تحليليا أكثر تعبيرا عن واقع مـــهارات المحاجاة المستخدمة في سياقنا المحلي كما تكشف عنه إجابات أفراد العينة . جدير بالذكر أن الملاحظات المبدئية للباحث والمستقاة مـــن تحليل مضمون إجابات المبحوثين على تلك القضايا (١٢ قضيـــة) كشفت عن نمطية الإجابة بشأن بعضها * على نحو يصعب معـــه أن تستثير قدر متنوع من الحجج بشأنها ، يضاف إلى ذلك أن التعليقات التي أدلى بها المبحوثون حولها والتي تضمنت الشكوى مـــن كـــثرة عدد القضايا، وأن الإجابة عنها تستغرق وقتا طويلا يصعـــب فـــي ظله الاحتفاظ بتركيزهم مرتفعا أثنائه ، لذا فقد قام الباحث باختصـــار عددها لتصبح (٧) سبع قضايا فقط حتى يتمكن المبحوثـــون مـــن ذكر أكبر عدد من الحجج بصددها .

الخصائص السيكومترية للأداة :

أ- الثبات : تم التحقق من ثبات الأداة بعدة طرق منها :

- **ثبات الأداء :** قام الباحث بإعادة تطبيق الأداة على (٣٠) مبحـــوث بفاصل زمني أسبوعين تقريبا ، وقـــام بحســـاب معـــامل ارتبـــاط سبيرمان بين العدد الإجمالي للحجج التي طرحوهـــا فـــي المـــرة الأولى والثانية فكان مقداره (٠,٧٩) ، وهـــو دال عنـــد مســـتوى (٠,٠١) ، مما يكشف عن الثبات النسبي لأداء المبحوثين الحجاجي على الأداة ، فضلا عن أنه يعني ضمنا ثباتا مرتفعا للتصحيح .

---

* القضايا الموجودة بالجدول رقم (١) والتي تحمل الأرقام : ٦ ، ٨ ، ٩ .

- **ثبات المصحح** *: تم حساب معامل الاتفاق بين اثنين من المصححين لمجموعة من استمارات البحث (ن = ١٦) ، وقد بلغ معامل الاتفاق بينهما (٦١%) ، وهو معامل مقبول . وإن كان انخفاضه النسبي قد يعزى إلى صغر حجم العينة من جهة فضلا عن الطبيعة المتفردة لإجابات المبحوثين وتنوع الفئات التي تحويها حججهم (حوالي ٧٢ فئة) من الناحية الأخرى .

ب- الصدق : تم تقدير صدق الأداة بعدة طرق منها :

- **صدق المحتوى** : هناك عدة مؤشرات تم الاعتماد عليها لإثبات تمتع الأداة بهذا النوع من الصدق تتمثل فيما يلي :

- بما أن تلك القضايا تم التوصل إليها من خلال متابعة ورصد مناظرات فكرية طرحت في منابر عامة فهي معبرة إذن عن قضايا واقعية يختلف الناس بالفعل حولها.

- كذلك فإن ثمة مجموعة من المحكمين قرروا أنها قضايا مهمة وذات طبيعة خلافية ، وملائمة لمجموعة الأفراد متنوعي الأعمار الذين يشكلون عينة البحث ، وهو ما يعني أنها تصلح لأن تكون بمثابة منبهات تثير السلوك الحجاجي لهؤلاء الأفراد .

- يضاف إلى ذلك أننا أجرينا دراسة استطلاعية على تلك القضايا حيث قدمناها لمجموعة من الأفراد (ن = ١٢٠)، وحصلنا من خلال تحليل محتوى إجاباتهم على حجج متنوعة ، بعضها سلبي

---

* يتوجه الباحث بجزيل عرفانه وتقديره إلى الأستاذ الدكتور فتحي الشرقاوي أستاذ علم النفس بجامعة عين شمس لآرائه وجهوده واستبصاراته الثرية في هذا الخصوص .

والبعض الآخر إيجابي ، تعكس انقسامهم حولها مـــا بيـــن مؤيـــد ومعارض على نحو مشابه للواقع الاجتماعي بصددها مما يعنـــــي تعبيرها الدقيق عن هذا الواقع فضلا عن أننا حصلنا مـــن خـــلال تحليل محتوى تلك الإجابات على مهارات وســـلوكيات حجاجيـــة متنوعة مشابهة نسبيا لتلك التي تواترت في التراث السابق .

– **صدق التكوين** : ثمة مجموعة من الافتراضات والمؤشرات التي نتوقـــع الحصول عليها عقب تحليل نتائج الدراسة ، ومن شأن الحصول عليـــها أن يقدم دعما للصدق التكويني للأداة قوامها .

- كلما ازداد متوسط أفراد العينة ارتفع معدل ما يذكرونه من حجـــج سواء لتفنيد رأى الأطراف الأخرى أو للتدليل على صحة آرائهم.
- أن معدل العبارات العدائية والأحكام المتطرفة ، والتعميم المفـــرط إبان المحاجاة سيميل للانخفاض عبر العمر .
- ارتفاع معدل شيوع الحجـــج الاســـتدلالية ، بشـــقيها الاســـتنباطي والاستدلالي ، والتفسيرات العقلانية والواقعية عبر العمر .
- ظهور مهارات حجاجية معينة في الفئات العمريـــة الأكـــبر ســـنا (الجامعيين) لم تكن موجودة لدى الأصغر سنا (طلاب الإعدادي)، تعكس قدرا أكبر من الارتقاء في المهارات الحجاجية مثل طـــرح المسلمات والحجج الشرطية ، والافتراضية ، واســـتخدام الأســـئلة كوسيلة حجاجية .

ثالثا : التصميم المنهجي :

التصميم المنهجي الذى اعتمدت عليه هذه الدراسة هـو التصميم المستعرض فضلا عن السببي المقارن ، حيث عقدنا مقارنة بين ثلاث مجموعات عمرية متدرجة (من ١٢ حتى ٢١ عاما) للكشف عن الفروق بينها في مهارات المحاجاة وفقا لعدد من المؤشرات الارتقائية المتعارف عليها ، على أساس الاستدلال من تلك المقارنة على العلاقة السببية بين العمر ومهارات المحاجاة .

رابعا : الإجراءات :

- قام الباحث بصياغة مجموعة من القضايا الخلافية الملائمة لأعمار فئات عينات البحث الثلاث ، كما أقر بذلك عدد من المحكمين المتخصصين في علم النفس .
- تم اختيار مائة فرد نصفهم من الذكور والنصف الآخر من الإناث من السنة الثانية الإعدادية ، ومن الثانية الثانوية ببعض مدارس القاهرة الكبرى فضلا عن مائة من الطلاب والطالبات الجامعيين .
- قدمت تلك القضايا إلى أفراد وعينات البحث الثلاث وطلب منهم أن يسجلوا كتابة أكبر عدد من الحجج المؤيدة لوجهة نظرهم حولها فضلا عن المفندة لوجهة النظر المخالفة لهم . وكان التطبيق يتم جمعيا في صورة استخبار في المدارس والجامعات على أيدي مجموعة مدربة من الباحثين النفسيين المتخصصين * .

---

* ينتهز الباحث هذه المناسبة ليتوجه بجزيل شكره وتقديره للزملاء الأعزاء الذين عاونوه في جمع المادة العلمية من الميدان وهم :الأستاذتان غادة عبد الغفار ، ونشوة عبد التواب المدرستين المساعدتين بكلية آداب المنيا ، والأستاذ عماد رمضان الأخصائي النفسي بوزارة التربية والتعليم .

عقب ذلك تم تحليل مضمون إجابات أفراد العينة والحجج المتضمنة فيها للتوصل إلى السلوكيات والمهارات الحجاجية النوعية المستخدمة فيها ، وما تندرج فيها من فئات فرعية حتى تتم مقارنة أفراد العينات الثلاث في ضوئها .

خامسا : أساليب التحليل الإحصائي :

تمثلت تلك الأساليب في :

- تحليل المضمون : نظر للطبيعة الخاصة بالدراسة فقد تمثل الأسلوب الرئيسي في معالجة بياناتها في تحليل مضمون إجابات أفراد العينة على القضايا التي قدمت إليهم سواء على المستوى الكمي أو الكيفي . وحرى بالذكر أن " كابلان وبيرلسون " Kaplan & Berelson يعرفان تحليل المضمون بأنه : أسلوب علمي موضوعي منظم يهدف إلى التصنيف الكمي والكيفي لمضمون أو مادة علمية معينة ، وذلك في ضوء نظام للفئات ، والتوصل إلى استدلالات من ذلك التحليل يسمح للباحث بالتحقق من صحة فروضه (طعيمة ، ١٩٨٧ ، ٢١-٢٧) .
- المتوسطات والتكرارات والنسب المئوية .
- معادلة " ت " لدلالة الفروق بين المتوسطات ومعادلة النسبة الحرجة لدلالة الفروق بين النسب .
- تحليل التباين الأحادي والثنائي .

نتائج الدراسة :

ثمة إطار متعدد المحاور سيقوم الباحث باستعراض نتائج الدراسة في ضوئه يتمثل فيما يلي :

١. الفروق في متوسطات العدد الكلي للحجج بين عينات البحث الثلاث.

٢. زيادة معدل شيوع بعض مهارات المحاجاة عبر العمر .

٣. بزوغ بعض المهارات الحجاجية في مراحل عمرية لاحقة .

٤. انحسار بعض السلوكيات الحجاجية السلبية عبر الزمن كمؤشر ارتقائي .

٥. المهارات الحجاجية التي لم يتغير معدل شيوعها عبر الزمن بصورة جوهرية .

٦. الفروق بين الذكور والإناث في مؤشرات ارتقاء مهارات المحاجاة.

١- الفروق في متوسطات العدد الكلي للحجج بين عينات البحث الثلاث:

حتى نقف على طبيعة الفروق الكمية في متوسط عدد الحجج التي ولدها أفراد عينات البحث الثلاث - المتفاوتة الأعمار - أجرينا تحليل تباين أحادي لمقارنة تلك الفروق بينها لمعرفة ما إذا كان هناك تأثير دال لمتغير العمر على عدد الحجج أم لا ، ويبين الجدول التالي رقم (٢) طبيعة تلك الفروق وقيمة " ف " التي تكشف عن أثر متغير العمر على عدد الحجج.

جدول رقم (٢)

أثر متغير العمر على متوسط عدد الحجج

عبر عينات البحث الثلاث

العينة / المتغير	الإعدادي		الثانوي		الجامعة		قيمة ف	مستوى الدلالة	الفرق بين عينة الإعدادي والثانوي	الفرق بين عينة الإعدادي والجامعة	الفرق بين عينة الثانوي والجامعة
	م	ع	م	ع	م	ع					
عدد الحجج	١١,٣٢	٣,٤٥	١٣,٣	٤,٣٦	١٧,٢	٥,٨	٤١,٨	٠,٠٠١	دال	دال	دال

حين نفحص نتائج الجدول السابق سنجد أن قيمة ف دالة عند مستوى (٠,٠٠١) مما يعني أن متغير العمر يؤثر في متوسط عدد الحجج تأثيرا إيجابيا بمعنى أنه كلما زاد العمر ارتفع متوسط عدد الحجج التي يصدرها الفرد في مواقف المحاجاة حول القضايا الخلافية . وقد دعمت نتائج التحليل اللاحق للفروق بين متوسط عدد الحجج للمجموعات الثلاث تلك النتيجة حيث كان متوسط عدد الحجج التي أصدرها أفراد عينة الإعدادي أقل بصورة دالة من متوسط عدد حجج عينة الثانوي ، وكان متوسط عدد حجج أفراد عينة الجامعة أكبر بشكل دال من متوسط عدد حجج عينة الثانوي ، وهو ما يعني أن ثمة ارتقاء كميا قد حدث في عدد الحجج كدالة للعمر . وبطبيعة الحال يفترض أن يعكس هذا الارتقاء الكمي ارتقاء كيفيا في المهارات الفرعية للمحاجاة ، فالكم – كما يقال – يولد الكيف .

كما تبين أنفا فإن الجدول السابق يتصل بالجزئية الخاصة بالتغير الذى يطرأ على العدد الكلي للحجج بشكل عام عبر العمر ، ولكن ماذا عن التغير الذى يحدث للسلوكيات المفصلة المستخدمة في إطار هذه الحجج

وما تكشف عنه من تحسن مهارات حجاجية نوعية ، وما طبيعة الفـــروق فيها عبر العمر لدى العينات الثلاث ؟

للإجابة عن هذا السؤال سنعرض لمجمل السلوكيات والمـــهارات الحجاجية التي وردت – كما اتضح من خلال تحليل مضمون الإجابـات – في ثنايا الحجج التي طرحها أفراد العينة بفئاتهم المتنوعة ، وسيشمل هـــذا العرض معدل شيوع كل سلوك أو مهارة حجاجية عبر العينـــات الثـلاث حتى نتمكن من عقد مقارنات بينها للوقوف على أوجه الاختلاف الذى قـــد يتمثل في زيادة معدل شيوع مهارات معينة عبر التقـــدم فـــي العمـــر ، أو بزوغ مهارات جديدة إبان ذلك ، أو انحسار سلوكيات حجاجيـــة ســـلبية ، وهي جميعا مؤشرات ارتقائية لمهارات المحاجاة ، وفي المقـــابل الوقـــوف على السلوكيات والمهارات التي لم يطرأ عليها تغير جوهري عبر العمـــر أو كانت تتسم بالغياب النسبي لدى أفراد العينـــة بشـــكل عـــام ، ويحـــوي الجدول التالي رقم (٣) بيانا تفصيليا بتلك الجوانب .

جدول رقم (٣)

مدى شيوع السلوكيات والمهارات الحجاجية

المتنوعة لدى عينات البحث الثلاث

م	العينة / المهارة	الإعدادي ك	الثانوي ك	الجامعة ك
١	التمثيل (ضرب الأمثال)	١٤	١٦	٢٠
٢	التكميم	٩	١٦	١٥
٣	التعميم المفرط	٢٢	١٤	١٢
٤	الاستدلال القياسي	٥	٥	٩
٥	الاستدلال الخاطئ	٦	٤	٨
٦	عقد المقارنات	–	١٢	٣٤
٧	الشخصية	–	٧	٨
٨	التمركز حول الذات	٦٦	٢٧	٢٥

م	العينة / المهارة	الإعدادي ك	الثانوي ك	الجامعة ك
٩	الجزئية	٨٩	٧٦	٢٦
١٠	العمومية	٢٧	٣٧	١٢
١١	السطحية	٤٣	٢٢	٥
١٢	التجذير	١٥	٣٤	٦٩
١٣	التفريد	٣٠	٢٧	٥٩
١٤	التجريد	١١	٢٩	٢٤
١٥	العيانية	٤٢	١٧	٧
١٦	اعتبار الآخر	٢١	٣٦	٣٤
١٧	العقلانية	١٦	٣٦	٤٩
١٨	الواقعية	٣٦	٦٢	٩٣
١٩	طرق زوايا متنوعة	٢٥	٢٣	٢٦
٢٠	التصلب الحجاجي	٤٤	١٦	١٦
٢١	التطرف الحكمي	٤٧	١٦	٤
٢٢	التحيز الحجاجي	١٠	٤	٦
٢٣	الفهم المغلوط	١٣	٧	٣
٢٤	الانفعالية	٣٥	٣٤	٢٩
٢٥	القفز على المقدمات	١٠	٦	٦
٢٦	التفكك	٢٢	١٥	٥
٢٧	المبالغة	١١	١٧	٦
٢٨	الإطناب	١٢	١٣	٧
٢٩	عدم تنظيم الأولويات	٣٥	١٧	٨
٣٠	التفكير الجزافي	٢٦	١٠	٤
٣١	إبطال مفعول الحجة المضادة	٥	١٠	٢٤
٣٢	تعظيم مفعول الحجة الشخصية	٤	٦	٤٥
٣٣	التفكير الافتراضي الاحتمالي	١١	٢٠	٣٠
٣٤	الحجج الشرطية	١٦	٣٨	٦٣
٣٥	الدقة الحجاجية	١٣	٢٦	١٥
٣٦	العقلية التصنيفية	٢٠	٣١	٣٩
٣٧	القدرة التمييزية	٣	٣٠	١٥
٣٨	التفكير الشبكي	٤	١٩	١٩
٣٩	إعادة تأطير القضية	١٧	٢٨	١٢٩
٤٠	النظرة المستقبلية	١٤	٢٤	٣٨

م	العينة / المهارة	الإعدادي ك	الثانوي ك	الجامعة ك
٤١	التسلسل الحجاجي	٤٠	٥٨	٥٧
٤٢	التفكير الآني	٢	٦	٢
٤٣	الإشارات الدينية	١٨	٥١	٢٠
٤٤	الانسياقية	١٩	١٠	١٦
٤٥	المناقضة	–	٢	١
٤٦	الحلول الشرعية	–	–	٢٢
٤٧	استخدام الأسئلة	–	٨	٥٢
٤٨	الخروج عن الموضوع	١٠	١٧	–
٤٩	التهكم	–	–	٧
٥٠	طرح حجج تشخيصية علاجية	–	–	١٠
٥١	الطلاقة الحجاجية	١٧	٢٩	١٦
٥٢	إبراز البديل الأسوأ	٢	١١	٤٤
٥٣	الاستشهاد بالمأثورات	٢	٥	١١
٥٤	المسئولية الاجتماعية	٢	٢	١٠
٥٥	الاستمالة الوجدانية	٢٧	٢٩	٢١
٥٦	الإفصاح عن الرأي الشخصي	٢	٢٨	١٩
٥٧	التفكير التعليلي	٢٦	١٤	٢٥
٥٨	التفكير الوجوبي	٤٨	٢٤	٤
٥٩	الأحكام النسبية	٥	٢٤	٣١
٦٠	الإطلالة على جانبي المسألة	٦٨	٨٤	١٤٢
٦١	الأحكام القيمية المطلقة	١٢	١٤	١٣
٦٢	البدائل المتدرجة	١٨	١٤	١٣
٦٣	التركيز على النتائج وليس الأسباب	١	–	٨
٦٤	اللوم والمساءلة	–	–	٦
٦٥	طرح مسلمات	–	١	٥٩
٦٦	الاستدلال العكسي	–	–	٣٢
٦٧	تحديد المسئوليات	١	١	١٣
٦٨	التقييم الشخصي	–	–	٩
٦٩	الاستدلال التاريخي	–	٢	١١
٧٠	التفكير الاستباقي	–	–	٢٠
٧١	طرح بديل مغاير	٣٨	٥١	٨٨
٧٢	النقد الذاتي	–	–	١
	الإجمالي	**١٢٠٠**	**١٣٦٦**	**١٨١٥**

يمكن استخلاص مؤشرات متعددة من الجدول السابق رقم (٣) تعكس التغيرات الارتقائية في مهارات المحاجاة قوامها ما يلي :

٢- زيادة معدل شيوع بعض مهارات المحاجاة عبر العمر :

كما هو معروف فإن عدد أفراد العينات الثلاث متساوي ، ومن ثم فإن ارتفاع معدل صدور سلوكيات حجاجية إيجابية معينة في العينات الأكبر سنا (الجامعيين) مقارنة بالأصغر سنا (الإعدادي والثانوي) يعد مؤشرا لارتقاء المهارات الحجاجية ، ويكشف الجدول التالي رقم (٤) عن الفروق بين المجموعات الثلاث في معدل شيوع بعض السلوكيات الحجاجية الماهرة على النحو التالي :

جدول رقم (٢)
الفروق بين العينات الثلاث في معدل شيوع بعض المهارات الحجاجية

م	العينة / المهارة الحجاجية	الإعدادي	الثانوي	الجامعة
١	الإطلاله على جانبي المساله	٦٨	٨٤	١٤٢*
٢	طرح بديل مغاير	٣٨	٥١	٨٨
٣	الواقعيه	٣٦	٦٢	٩٣
٤	التفريد	٣٠	٢٧	٥٩
٥	العقليه التصنيفيه	٢٠	٣١	٣٩
٦	إعادة تاطير القضيه	١٧	٢٨	١٢٩
٧	الحجج الشرطيه	١٦	٣٨	٦٣
٨	العقلانيه	١٦	٣٦	٤٩
٩	التجدير	١٥	٣٤	٦٩
١٠	النظرة المستقبليه	١٤	٢٤	٣٨
١١	تعظيم مفعول الحجه الشخصية	٤	٦	٤٥
١٢	إبراز البديل الاسوا	٢	١١	٤٤
١٣	التفكير الافتراضى الاحتمالى	١١	٢٠	٣٠

* قد يستخدم الفرد المهارة أكثر من مرة في إجاباته، ومن ثم قد يزيد عدد تكرار ظهور المهارة عن عدد أفراد العينة .

تشير نتائج الجدول السابق رقم (٤) إلى أن هناك سلوكيات ومهارات حجاجية معينة تزداد قوة عبر الزمن بصورة متدرجة ، كما يدل على ذلك معدل شيوعها في العينات الثلاث ، وكانت أبرز تلك المهارات "إعادة تأطير القضية المطروحة" * حيث برزت بصورة جلية لدى الجامعيين مقارنة بطلاب الإعدادي ، وهي تشير إلى قدرة الفرد على إعادة طرح المسألة بصورة أخرى غير التي طرحها بها الطرف الآخر ، وإعادة تقييمها من منظور شخصي مختلف عن الطرح المقدم ، وإضفاء معاني جديدة على المفاهيم وإعادة هيكلتها ، وتحسنت في الوقت نفسه ، مهارة " طرح بديل مغاير " يتناغم مع النظرة الجديدة للمسألة قد يكون ذات طابع افتراضي احتمالي ، وكذلك كان هناك ارتفاع ملحوظ في مهارة " النظر إلى جانبي المسألة " بإيجابياتها وسلبياتها قبيل تحديد موقف الفرد منها، وحدث تحسن واضح أيضا في " النظرة الواقعية للقضية " التي تعني أن يضع الفرد القضية في حجمها الحقيقي ، وعدم تجاهل المتغيرات الفعلية الموجودة في الموقف ، والاحتكام للواقع كمحك هام لتقييمها وارتفعت كذلك ، وإن كان بقدر أقل ، مهارات مثل " استخدام الحجج الشرطية" و" التفريد" ، أي التعامل مع الظروف والحالات الخاصة للمسألة المتحاج بشأنها وكذلك " العقلانية " وتشير إلى رفض الأحكام المطلقة والاعتماد على أسس ومعايير منطقية لإقامة الدليل ، والسعي إلى " تعظيم مفعول الحجة الشخصية " من خلال التأكيد على مزاياها وآثارها الإيجابية " وإبراز البديل الأسوأ " الذى يترتب على عدم قبولها من قبل الطرف الآخر ، والنظرة المستقبلية التي تعبر اللحظة الراهنة . وبطبيعة

---

* قال أحد طلاب الجامعة ردا على قضيه ضرورة إنهاء الإرسال التليفزيوني مبكرا للقضاء على السهر بقوله " ليس الإرسال التليفزيوني هو الذى يؤدي إلى السهر ، ولكن هناك أسباب أخرى منها ، على سبيل المثال ، عدم قدرة الفرد على تنظيم وقته ".

الحال فإن هذه الزملة من التغيرات الارتقائية تنبئ بظهور نمط من المحاجات الأكثر عقلانية ومنطقية ، والذى يُعني بفحص الجوانب المتعددة للموضوع ، والنظرة إليه بصورة مستقلة تمكنه من طرح وجهات نظر مختلفة بشأنه متحررة من وجهات النظر السائدة والتي يسعى الطرف الآخر لفرضها عليه ، وتوضح ما قد يترتب على عدم قبولها من آثار سلبية بيد أنه لا يطلق أحكاما عامة على المسألة بصورة تطمس تفردها وحالاتها المتنوعة.

٣- بزوغ بعض المهارات الحجاجية في مراحل عمرية لاحقة :

لوحظ من استقراء بيانات الجدول الأسبق رقم (٣) أن بعض المهارات الحجاجية لم تظهر لدى عينة الإعدادي في حين بدأت في الظهور بصورة محدودة لدى عينة الثانوي ، وبصورة أكبر لدى عينة الجامعة ويوضح الجدول رقم (٥) تلك المهارات .

جدول رقم (٥)
المهارات الحجاجية التي بزغت في
المراحل العمرية الأكبر في عينات البحث

م	العينة / المهارة	الإعدادي	الثانوي	الجامعة
١	طرح مسلمات	–	١	٥٩
٢	استخدام الأسئلة	–	٨	٥٢
٣	عقد المقارنات	–	١٢	٣٤
٤	الاستدلال العكسي	–	–	٣٢
٥	الحلول التوفيقية	–	–	٢٢
٦	التفكير في العواقب والمعوقات	–	–	٢٠
٧	الاستدلال التاريخي	–	٢	١١
٨	الحجج التشخيصية العلاجية	–	–	١٠
٩	التقييم الشخصي	–	–	٩
١٠	التهكم	–	–	٧

يشير الجدول السابق رقم (٥) إلى أن هنـــاك بعـض المـهارات الحجاجية التي لم تظهر تقريبا إلا في مرحلة الجامعـــة (الرشـد المبكـر) وأولها " طرح مسلمات " خاصة كمقدمات يستخلص منها الفـــرد نتيجـة معينة يلزم الطرف الآخر بقبولها ، وهي تعكس ارتقاء مـهارة الاسـتدلال الاستنباطي ، يليها مهارة " طرح أسئلة متنوعة " واستخدامها في المحاجـاة كوسيلة للاستفهام تارة والاستنكار تارة أخرى ، وليس لمجـرد الحصـول على المعلومات ، وهو الاستخدام المتعارف عليه ، ثم "عقـد المقارنـات" والقيام بعمليات المماثلة بين الظواهر لتوضيح وجهات النظر الشخصية في المسألة وتقريبها إلى الأذهان ، يلي ذلك مـهارة " الاسـتدلال العكسـي" * والانتقال للنقيض لإثبات الحجة ، ثم مهارة " طرح حلـــول وسـط " ذات طابع توفيقي لتقريب وتقليص الفجوة بين المواقف المتعارضـــة ، وكذلـك التفكير في العواقب المستقبلية للحجة المطروحة أي إدخال البعد المسـتقبلي في عملية التقييم مما يضفي قوة أكبر عليها ، وبدأت سلوكيات أخرى فـــي الظهور تعكس التعامل المرن مع عامل الزمن وإدماجه في منظور الفـــرد للحجة حيث ظهرت مؤشرات الاعتماد على " الاستدلال التاريخي " حيـث يقوم الفرد بحشد الأدلة والوقائع التاريخية لدعـم الحجـة ، فضـلا عـن استخدام " التهكم "* كوسيلة مفيدة في المحاجاة . وهو ما يعنـي أن هنـاك

---

* كنموذج لذلك النوع من الاستدلال أجاب أحد طلاب الثانوي ردا علـى قضيـة " أن الدروس الخصوصية ضرورية لنجاح الطلاب وتفوقـهم بقولـه " أنـها ليسـت ضرورية بدليل أن هناك طلاب أوائل على مستوى الجمهورية لا يعرفون طريقها، وآخرون يأخذونها ولا يتمكنوا من النجاح" .

* قالت إحدى طالبات الجامعة ردا على قضية " ضرورة إعدام المدمنين فلا فائدة مـن علاجهم " متهكمة بقولها " إذا كان الإعدام هو الحل الوحيد للتخلص ممن لا فـائدة منه لفرغت الأرض من سكانها " وقالت أخرى " إذا أخذنا الأمور بـهذه الطريقـة فعلينا إعدام كل مرضى السرطان الذين لا أمل في شفائهم" .

مهارات إضافية نوعية بدأت في البزوغ في تلك المرحلة يعتمد عليها الفرد في المحاجاة مما يزيد من كفاءته فيها .

٤- انحسار بعض السلوكيات الحجاجية السلبية عبر الزمن كمؤشر ارتقائي:

تكشف نتائج الجدول الأسبق رقم (٣) عن انخفاض معدل شيوع بعض السلوكيات الحجاجية ذات الطابع السلبي ، ويوضح الجدول التالي رقم (٦) تلك السلوكيات .

جدول رقم (٦)

السلوكيات الحجاجية التي ينخفض معدل شيوعها

مع التقدم النسبي في العمر لدى عينات البحث

م	العينة / المهارة	الإعدادي	الثانوي	الجامعة
١	النظرة الجزئية	٨٩	٧٦	٢٦
٢	التمركز حول الذات	٦٦	٢٧	٢٥
٣	الوجوبية	٤٨	٢٤	٤
٤	التطرف الحكمي	٤٧	١٦	٤
٥	التصلب	٤٤	١٦	١٦
٦	السطحية	٤٣	٢٢	٥
٧	العيانية	٤٢	١٧	٧
٨	عدم تنظيم الأولويات	٣٥	١٧	٨

تكشف نتائج الجدول السابق عن أن هناك بعض السلوكيات الحجاجية التي ينخفض معدل شيوعها ، وبما أنها في مجملها ذات طابع

سلبي فإن ذلك الانخفاض النسبي عبر العمر يعد علامة ارتقائية حينئذ ، فعلى سبيل المثال كانت " النظرة الجزئية للأمور" شائعة في عينة الإعدادي والثانوي وهي تشير إلى الانشغال بالجزئيات عن الموضوع الرئيسي الكلي ، والاستغراق في تفاصيل فرعية معينة في الحجة وإغفال الإطار العام لها ، بيد أنها انخفضت بصورة ملحوظة في عينة الجامعة . وكذلك حدث تناقص واضح في " التمركز حول الذات" أثناء المحاجاة مع الطرف الآخر في عينة الثانوي والجامعة مقارنة بالإعدادي مما يعكس ميلا أكبر في تلك الحقبة لاعتبار منظور الآخر بدلا من التركيز على منظور الفرد فقط ، كذلك فقد حدث انحسار ملحوظ في " الأسلوب النوجوبي " والذى يفرض الفرد بمقتضاه على الآخر ما يجب عليه أن يقوله ويفعله ، وأيضا تناقص معدل إصدار " الأحكام المتطرفة القاطعة" (التطرف الحكمي) وكذلك " التصلب الحجاجي " حيث يغلب على الفرد النظرة الأحادية للأمور وإغفال الأبعاد الأخرى في الموقف . وهناك انخفاض أيضا في " النظرة السطحية " لموضوع المحاجاة وعدم الغوص فيه ومناقشة أساسه حيث كان ملمحا بارزا في عينة الإعدادي وانخفض لدى عينة الثانوي بقدر ملحوظ ثم تدنى حتى كاد أن يغيب لدى عينة الجامعة ، وواكب ذلك أيضا انخفاض " التناول العياني " للقضية والبعد عن النظرة المباشرة الضيقة التي لا تتجاوز الواقع المادي للأمور ، وأصبح في المقابل أفراد عينة الجامعة أكثر " تنظيما لأولوياتهم " إبان مناقشة القضايا الخلافية . نخلص من هذا إلى أن هناك توجه في المحاجاة يتصاعد عبر العمر فيزيد في عينة الثانوي مقارنة بالإعدادي وبالجامعة مقارنة بالثانوي ، يتمثل في مزيد من التجريد ، والبعد عن التناول الجزئي العياني للأمور ، والابتعاد عن الأحكام الوجوبية التي لا ترى الظروف المتفردة للطرف الآخر ، وتجنب الأحكام القاطعة ، والألفاظ الحادة ذات الطابع العدائي .

٥- المهارات الحجاجية التي لم يتغير معـــدل شـــيوعها عبر العينات بصورة جوهرية :

حين نستطلع نتائج الجدول الأسبق رقم (٣) سنجد أن هناك بعـض المهارات الحجاجية التي لم يطرأ عليها - نسبيا - تغيرات ملحوظـــة مـــع التقدم في العمر عبر العينات الثـــلاث فـــهي إمـــا متوســـطة الشـــيوع أو منخفضة، ويكشف الجدول التالي رقم (٧) عن أبرز تلك المهارات .

جدول رقم (٧)

المهارات الحجاجية التي لم يطرأ عليها

تغيرات ملحوظة عبر العينات متنوعة الأعمار

م	العينة / المهارة	الإعدادي	الثانوي	الجامعة
١	الانفعالية	٣٥	٣٤	٢٩
٢	الاستمالة الوجدانية	٢٧	٢٩	٢١
٣	المرونة الحجاجية	٢٥	٢٣	٢٦
٤	الانسياقية	١٩	١٠	١٦
٥	الطلاقة الحجاجية	١٧	٢٩	١٦
٦	التمثيل (ضرب الأمثال)	١٤	١٦	٢٠
٧	إصدار أحكام قيمية مطلقة	١٢	١٤	١٣
٨	المناقضة	-	١	١
٩	الفهم المغلوط للحجة	٤	٢	-
١٠	النقد الذاتي	-	-	١
١١	اللوم والمساءلة	-	-	٦

يتضح من نتائج الجدول السابق رقم (٧) أن هناك بعض السلوكيات الحجاجية موجودة بمعدلات متقاربة ، تميل إلى الانخفاض النسبي ، لدى كل العينات مثل استخدام العبارات والألفاظ الانفعالية ، وكذلك الاستمالة الوجدانية * والمرونة الحجاجية التي تنطوي على التنوع وطرق زوايا جديدة وتقليب الأمر على وجوهه ، واستخدام الأمثال أثناء المحاجاة، وإصدار أحكام قيمية على الأشياء . وفي المقابل كانت هناك مهارات تكاد تكون غير موجودة لدى كل العينات تقريبا مثل " المناقضة " أي تعليق الحكم على مستحيل ، والنقد الذاتي واللوم والمساءلة .

٦- الفروق بين الذكور والإناث في مؤشرات ارتقاء مهارات المحاجاة:

أ- الفروق بين الذكور والإناث في متوسط عدد الحجج عبر العمر:

حين قارنا بين متوسط عدد حجج الذكور ككل مقابل الإناث بغض النظر عن العمر بلغ متوسط عدد حجج الذكور (١٣,٧ ± ٥,٣) مقابل (١٤,٢ ± ٥,٢) للإناث ولم يكن الفارق بينهما دالا حيث بلغت قيمة ت (- ٠,٨٥) . إلا أن الأمر اختلف إلى حد ما حين أجرينا تحليل تباين ثنائي لندرس طبيعة التفاعل بين العمر والنوع وأثر ذلك على متوسط عدد الحجج ، ويبين الجدول التالي نتيجة ذلك الإجراء .

---

* ذكر أحد طلاب الجامعة مدافعا عن عدم إلغاء مباريات كرة القدم لأنها تعطل تلفزيونه " إن الرياضة هي الصخرة التي تتحطم عليها سفينة الشهوات " .

وقال الأعدادي في محاولة لإقناع الآخرين برأيها في ضرورة عمل المرأة " أحلام تحلم بها من أهمها أن تسأل نفسها ماذا سأعمل عندما أكبر ".

جدول رقم (٨)

التفاعل بين العمر والنوع وأثره على متوسط عدد الحجج لدى عينات البحث

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة "ف"
العمر	١٨٠٣,٢	٢	٩٠١,٦	٤٣,٩ *
النوع	١٧,٣١	١	١٧,٣	٠,٨
التفاعل بينهما (التعليم × النوع)	٣٤٢	٢	١٧١	٨,٣ *
التباين المفسر	٢١٦٢,٥	٥	٣٤٢,٥	٢١
البواقي	٦٠٤,٦	٢٩٤	٢٠,٦	-
المجموع	٨٢٠٥,١	٢٩٩	٢٧,٤	-

* دال عند مستوى ٠,٠٠١

تشير نتائج الجدول السابق إلى أن العمر أثر منفرداً في متوسط عدد الحجج ، وكان مؤثرا أيضا حين تفاعل مع النوع حيث كان لهما تأثير دال في متوسط عدد الحجج بيد أن النوع منفرداً لم يكن له تأثير دال على متوسط عدد الحجج .

وللكشف عن الآثار الفرعية للنوع على كل فئة من فئات العمر الثلاث منفردة عقدنا مقارنة بين الذكور والإناث في كل عينة للوقوف على الفروق في متوسط عدد الحجج بينهما ، ويوضح الجدول التالي رقم (٩) نتائج تلك المقارنة .

جدول رقم (٩)

الفروق بين عينات البحث الثلاث

من الذكور والإناث في متوسط عدد الحجج

العينة	إعدادي				قيمة ت	مستوى الدلالة	ثانوي				قيمة ف	مستوى الدلالة	جامعة				قيمة ف	مستوى الدلالة
النوع	ذكور		إناث				ذكور		إناث				ذكور		إناث			
المتغير موضوع المقارنة	م	ع	م	ع			م	ع	م	ع			م	ع	م	ع		
متوسط عدد الحجج	١٦.٦٨	٣.٣٧	١٠.٩٦	٣.٩١	١٠/٤	غير دال	١٦.٨٦	٣.٩٢	١٠	٤.٤	٣.٢٤	٠.٠١	١٢.٨٨	٩.٩٢	١٦.٠١	٩.٩٨	١.١٤	غير دال

تشير المقارنات الفرعية بين العينات الثلاث في ضوء النوع إلى عدم وجود فروق في متوسط عدد الحجج بين الذكور والإناث في عينة الإعدادي ، بيد أن الإناث في عينة الثانوي أصدرن عددا أكبر من الحجج بشكل دال من الذكور ، وفي الجامعة عاد الاثنان ليتساويان حيث ارتفع متوسط الذكور ليلحق بمتوسط الإناث . أي أن الذكور لحقوا ارتقائيا بركب الإناث اللائى من المعروف في التراث العلمي أنهن أسرع ارتقاء في مرحلة المراهقة الوسطى من المراهقين في الجوانب البدنية واللغوية بشكل خاص .

عقب بيان طبيعة الفروق الكمية في متوسط عدد الحجج عبر النوع والعمر تقدمنا خطوة أخرى - أكثر تفصيلا - للأمام بغية الوقوف على الفروق النوعية بينهما في طبيعة المهارات والسلوكيات الحجاجية المتنوعة التي يستخدمونها إبان عملية المحاجاة من واقع تحليل مضمون الحجج التي قدموها في القضايا الخلافية التي طرحت عليهم .

ب- الفروق بين الذكور والإناث عبر العمر في مستوى شيوع المهارات الحجاجية :

يوضح الجدول التالي رقم (١٠) أكثر المهارات الحجاجية التي حدث زيادة في معدل شيوعها عبر العمر لدى كل من الذكور والإناث

جدول رقم (١٠)

أكثر المهارات الحجاجية التي زاد معدل شيوعها عبر العمر لدى كل من الذكور والإناث

م	النوع / العينة / المهارة	ذكور			م	النوع / العينة / المهارة	إناث		
		الإعدادي	الثانوي	الجامعة			الإعدادي	الثانوي	الجامعة
١	الإطلالة على جانبي المسألة	٣٨	٢٧	٨٦	١	إعادة تأطير القضية	٨	٢٣	٦٠
٢	إعادة تأطير القضية	٩	٥	٦٩	٢	الإطلالة على جانبي المسألة	٣٠	٥٧	٥٦
٣	نزعنة	١٥	٢٢	٤٧	٣	الواقعية	٢١	٤٠	٤٦
٤	طرح بديل مغاير	٢١	٢٠	٤٥	٤	طرح بديل مغاير	١٦	٣١	٤٣
٥	الحجج الشرطية	١١	١٣	٣٠	٥	التجذير	١٥	١٩	٣٤
٦	إبراز البديل الأسوأ	٢	٥	٣٠	٦	التفريد	١٤	١٦	٣٤
٧	المقالتية	٧	١٢	٢٣	٧	التسلسل الحجاجي	٨	٣٤	٣٤
٨	النظرة المستقبلية	٤	٩	٢٣	٨	الحجج الشرطية	٥	٢٥	٣٣
٩	اعتبار منظور الآخر	١١	١٤	٢٠	٩	المقالتية	٩	٢٤	٢٦
١٠	الإشارات الذهنية	٩	٢٠	٢٠	١٠	الأحكام القيمية	١	٢٣	٢٥
١١	المقابلة التصنيفية	١٠	١٢	٢٤					

حين نفحص نتائج الجدول السابق لنستدل منها على الفروق بين الذكور والإناث في طبيعة المهارات التي يحدث فيها تحسن عبر العمر من خلال فحص معدل شيوعها في عمليات المحاجاة سنجد أن أكثر تلك المهارات تغيرا لدى الذكور هي : الإطلالة على جانبي المسألة ثم إعادة

تأطير القضية ، والنظرة الواقعية لها وعدم تجاهل متغيرات الواقع إبان مناقشتها ، ثم القدرة على طرح بديل مغاير وهي مهارة مكملة لمهارة إعادة تأطير القضية ، يلي ذلك استخدام الحجج الشرطية ، وإبراز البديل الأسوأ في حالة عدم قبول البديل المطروح ، ثم اعتبار منظور الآخر * والعقلية التصنيفية ، والاستعانة ببعض المأثورات الدينية أثناء المحاجاة مما يعكس قدرا أكبر من تمثل الثقافة الدينية . وحين ننتقل للوقوف على طبيعة التغيرات الإيجابية في مهارات المحاجاة لدى الإناث سنجد أن أكثرها ارتقاء عبر العمر هو إعادة تأطير القضية ، والإطلالة على جانبي المسألة ، والواقعية ، وطرح بدائل مغايرة للتي يطرحها الطرف الآخر ، والتجذير أي الغوص إلى ومناقشة أصل المسألة ، وليس مظاهرها، والتفريد أي الاهتمام بالحالات الخاصة والظروف الاستثنائية في القضية، وتحسنت ، وإن كان بقدر أقل ، النظرة العقلانية للأمور ، وكذلك مهارة إصدار أحكام نسبية . حين ننظر بشكل عام إلى مظاهر الاختلاف في الارتقاء الحجاجي بين الذكور والإناث سنجد أن هناك مهارات تحسنت بصورة متقاربة لدى كل منهما حيث كان ترتيب شيوعها متشابها ،تقريبا، واحتلت المراكز المتقدمة لديهما ، وتمثلت تلك المهارات في : الإطلالة على جانبي المسألة ، وإعادة تأطير القضية ، والواقعية ، وطرح بديل مغاير ، والعقلانية ، واستخدام الحجج الشرطية . وحرى بالذكر أن هذا الارتقاء ينطوي على مزيد من الاستقلالية الفكرية والمرونة، والنظرة العقلانية للأمور وهي سمات يفترض بزوغها في تلك المرحلة النمائية بوجه عام (مرحلة المراهقة المتأخرة – مرحلة البحث عن الهوية المتمايزة والمستقلة فكريا وماديا عن الراشدين) بيد أن هناك مهارات

---

* قالت إحدى طالبات إعدادي معللة رفضها الموافقة على إعدام المدمن بقولها " إن المدمن إنسان مثلنا " وقالت أخرى " كل واحد منا معرض لأن يكون في مثل هذا الموقف" .

تطورت بدرجة أكبر لدى الذكور مقارنة بالإناث مثل إبراز البديل الأسوأ، والإشارات الدينية، والنظرة المستقبلية ، واعتبار منظور الأخر، والعقلية التصنيفية . أما المهارات التي تحسنت لدى الإناث بدرجة أكبر مقارنة بالذكور فهي التجنير ، والتفريد ، والتسلسل الحجاجي ، وإصدار الأحكام النسبية .

ويمكننا القول بأن ذلك التفرد ينطوي على ميل لدى الذكور لإقناع الآخر بوجهة نظر معينة وحشد الأدلة الحالية ، والمستقبلية لذلك ، أما الإناث فيبدو أنهن يحاولن فهم حجة الآخر بصورة أعمق حتى يقتنعن بها أو يرفضنها بأدلة قوية . وعموما فهذا تفسير ذو طابع مبدئي ، ومن ثم فإن هذه الفروق تدعونا بشكل عام إلى إفراد بحث خاص لها أكثر عمقا للوقوف على محدداتها وتأثيرها في عناصر أخرى متصلة بالمحاجاة من قبيل الاتجاه نحو المحاجاة والاستراتيجيات المفضلة في المحاجاة لدى كل منهما .

ج- بزوغ مهارات حجاجية لدى كل من الذكور والإناث عبر العمر :

يقدم الجدول التالي رقم (١١) قائمة بالمهارات التي بزغت لدى كل من الذكور والإناث في مراحل عمرية لاحقة بعدما لم تكن موجودة في المراحل السابقة .

جدول رقم (١١)

الفروق بين الذكور والإناث عبر العينات الثلاث

في بزوغ مهارات حجاجية مستحدثة

م	النوع / العينة / المهارة	ذكور			م	النوع / العينة / المهارة	إناث		
		الإعدادي	الثانوي	الجامعة			الإعدادي	الثانوي	الجامعة
١	طرح مسلمات	–	–	٣٨	١	تعظيم مفعول الحجة الشخصية	–	٣	٢٨
٢	التجذير	–	١٥	٣٥	٢	طرح مسلمات	–	١	٢١
٣	استخدام الأسئلة	–	–	٣٣	٣	استخدام الأسئلة	–	٨	١٩
٤	الاستدلال العكسي	–	–	٢٦	٤	الحلول التوفيقية	–	–	١٦
٥	عقد مقارنات	–	٥	٢١	٥	إبراز البديل الأسوأ	–	٦	١٤
٦	التركيز على العواقب	–	–	١٣	٦	عقد مقارنات	–	٧	١٣
٧	الاستدلال التاريخي	–	–	٨	٧	الإفصاح عن الرأي الشخصي	–	٢٤	١١
٨	الحلول التوفيقية	–	–	٦	٨	تحديد المسئوليات	–	١	١٠
					٩	الأحكام القيمية	–	٢	٧
					١٠	الاستدلال العكسي	–	–	٦
					١١	التركيز على العواقب	–	–	٦

حين نستعرض نتائج الجدول السابق الخاصة بالمهارات الحجاجية لدى الذكور والتي لم تظهر في مرحلة الإعدادي وبدأ ظهورها في المرحلة الثانوية ، وتنامت بدرجة أكبر في مرحلة الجامعة ، سنخالها تتمثل في "عقد المقارنات " كوسيلة لإثبات أو نفي حجة ، " والتجذير "* والذى يصبح الفرد بموجبه أكثر ميلا للبحث عن جذور الموضوع. أما المهارات

---

* قالت إحدى الطالبات الجامعيات " ليس إعدام المدمنين هو العلاج ولكن الحل يكمن في اكتشاف الأسباب التي أدت إلى ذلك والقضاء عليها " .

الأخرى فلم تظهر سوى في عينة الجامعة فقط مثل مهارة طرح المسلمات، وتوجيه الأسئلة واستخدامها كوسيلة حجاجية في صيغ استنكارية أو تعجبية أو استفهامية والإستدلال العكسي ، والتاريخي ، وتحديد العواقب والمعوقات، والتقدم بحلول توفيقية .

أما لدى **الإناث** فإن معظم المهارات مناط اهتمام هذا المحور فقد ظهرت في الثانوي واستمر تحسنها في الجامعة مثل استخدام الأسئلة، وإبراز البديل الأسوأ ، وإصدار أحكام قيمية على الأشياء ، وطرح المسلمات ، وتحديد المسئوليات ، أما المهارتين اللتين ظهرتا فقط في الجامعة فهما " الحلول التوفيقية " و" الاستدلال العكسي "

د- الفروق بين الذكور والإناث عبر العمر في معدل انحسار بعض السلوكيات الحجاجية :

يوضح الجدول التالي رقم (١٢) طبيعة السلوكيات الحجاجية التي انخفض معدل ظهورها لدى كل من الذكور والإناث عبر التقدم النسبي في العمر .

جدول رقم (١٢)

السلوكيات الحجاجية التي حدث بها انخفاض ملحوظ

عبر العمر لدى عينات البحث من الذكور والإناث

م	النوع / العينة / المهارة	ذكور			م	النوع / العينة / المهارة	إناث		
		الإعدادي	الثانوي	الجامعة			الإعدادي	الثانوي	الجامعة
١	الجزئية	٤٣	٤٩	١٢	١	الجزئية	٤٦	٢٧	١٤
٢	التمركز حول الذات	٢٨	١١	١٣	٢	التمركز حول الذات	٣٨	١٦	١٢
٣	السطحية	٢٥	١٢	٢	٣	التصلب الحجاجي	٢٧	١٠	٩
٤	التطرف الحكمي	٢٥	١٠	١	٤	الوجوبية	٢٦	١٠	٢
٥	عدم تنظيم الأولويات	٢٣	٩	١	٥	الميانية	٢٢	٩	٤
٦	الوجوبية	٢٢	١٤	٢	٦	التطرف الحكمي	٢٢	٦	٣
٧	الميانية	٢٠	٨	٣	٧	العمومية	١٩	١٩	٥
٨	التفكير الجزافي	١٩	٩	٣	٨	السطحية	١٨	١٠	٣
٩	التصلب الحجاجي	١٧	٦	٧	٩	التفكك	١٧	٨	٢
					١٠	التعميم المفرط	١٢	٦	٥

حيث نستقرئ بيانات الجدول السابق سنجد أنه فيما يتعلق بـالذكور فقد حدث انخفاض ملحوظ في عدد من السلوكيات الحجاجية وبوجه خـاص "النظرة الجزئية للأمور" * ، وكان ذلك بصورة واضحـة فـي المرحلـة الجامعية فقط ، و" التمركز حول الذات " حيث انخفض بدء من المرحلـة الثانوية وكذلك " النظرة السطحية للأمور" ، و" العيانية " ، و" التطرف فـي الحكم" ، و" التفكير الجزافي " و" الوجوبي " وبما أن هذه السـلوكيات ذات طابع سلبي إذن فإن انخفاضها يعـد مؤشـرا علـى ارتقـاء المـهارات الحجاجية.

وفي المقابل حدث انخفاض واضـح لـدى الإنـاث فـي بعـض السلوكيات الحجاجية من قبيل النظرة الجزئية ، والتمركز حـول الـذات ، والسطحية ، والعيانية ، والتطـرف فـي الحكـم والوجوبيـة ، والتفكـك الحجاجي .

هـ – مهارات تشابه معدل ظهورها لدى العينات ذكور وإناث عـبر العمر ولم يطرأ عليها تغيرات جذرية :

يحوي الجدول التالي رقم (١٣) قائمة بالمهارات الحجاجية التي لـم يطرأ عليها تغير ملحوظ عبر النوع والعمر لدى عينات البحث .

---

* قالت إحدى طالبات الإعدادي في هذا المقام " أوافق على إنهاء الإرسال التليفزيونـي مبكرا حتى نوفر استهلاك الكهرباء .

جدول رقم (١٣)

المهارات الحجاجية التي لم يطرأ عليها تغيرات جذرية

لدى عينات البحث الثلاث من الذكور والإناث

م	النوع / العينة / المهارة	ذكور			م	النوع / العينة / المهارة	إناث		
		الإعدادي	الثانوي	الجامعة			الإعدادي	الثانوي	الجامعة
١	التعميم المفرط	١٠	٨	٧	١	ضرب الأمثال	٧	٩	٦
٢	المرونة	١٠	١٣	١٦	٢	التجريد	١٠	١٦	١٢
٣	التحيز	٢	٣	٤	٣	المرونة	١٥	١٠	١٠
٤	الانفعالية	١٥	١٣	١٢	٤	التحيز	٤	١	٢
٥	الإطناب	٧	٢	٥	٥	المبالغة	٦	٧	٥
٦	إبطال مفعول الحجة المضادة	٣	٥	٥	٦	الانسيابية	٥	٣	٩
٧	التفكير الآني	٢	١	–	٧	الاستمالة الوجدانية	١٩	١٨	١٢
٨	المناقضة	–	١	١	٨	الاستدلال الخاطئ	١	–	٢
٩	اللوم والمساءلة	–	–	٢	٩	القفز على المقدمات	–	١	٣
١٠	النقد الذاتي	–	–	١	١٠	المناقضة	–	١	–
					١١	التهكم	–	–	٣
					١٢	الاستدلال التاريخي	–	٢	٢

بالنسبة للذكور نلاحظ أن هناك مهارات لم يطرأ عليها تغيرات جذرية كبيرة مثل المرونة والانفعالية ، والتحيز، والتعميم المفرط * أما فيما يتصل بالإناث فالتغيرات لم تشمل مهارة التجريد ، والمرونة ، والتحيز أيضا، والاستمالة الوجدانية ، واستخدام وضرب الأمثال . ومن

---

* قالت إحدى طالبات الإعدادي ردا على قضية منع توظيف النساء لتوفير فرص عمل للرجال بقولها "أوافق لأن النساء لا يفعلن أي شيء في العمل سوى تجهيز الخضروات في المكاتب" ، ورفض أحد طلاب الثانوي ذلك بقوله أن " المرأة تساوي الرجل في كل شيء " .

الناحية الأخرى فهناك مهارات تكاد تكون غير موجودة لدى الذكور مثـــل النقد الذاتي والمساءلة ، والمناقضة ، والتفكير الآني ، أما بالنسبة للأثـــاث فتمثلت تلك المهارات في الاستدلال الخاطئ ، والتهكم ، والفهم المغلـوط ، والاستدلال التاريخي ، والقفز على المقدمات . وهو ما يعني أن الجوانـــب المزاجية (الانفعالية ، والتحيز ، والاستمالة الوجدانية) لا يطـــرأ عليـها تعديلات تذكر مما يوحي بأنها مقاومة للتغير لدى كلا النوعين ، كذلك فإنه يبدو أن هناك نمط للمحاجاة قد يكون شائعا في الثقافة تغيب فيه عنـــاصر النقد الذاتي والمساءلة.

مناقشة النتائج :

كشفت نتائج الدراسة عن عدة مؤشرات من شأنها إثـــراء فـــهمنا لعملية ارتقاء مهارات المحاجاة ودلالاتها الشخصية والاجتماعيـــة يمكـــن عرضها وفق الإطار التصوري التالي :

أولا : مظاهر الارتقاء عبر العمر في مهارات المحاجاة .

ثانيا : الفروق بين الجنسين عبر العمر في مهارات المحاجاة .

ثالثا : أنماط المحاجاة .

رابعا : مؤشرات صدق الأداة والنتائج .

خامسا : بحوث مقترحة وأفكار مستقبلية .

أولا : مظاهر الارتقاء عبر العمر في مهارات المحاجاة :

أوضحت النتائج أن ارتقاء مهارات المحاجاة يأخذ عـــدة مظـــاهر تتمثل فيما يلي :

١. **النمو في القدرة على توليد الحجج** : حيث تبين أن متوسط عدد الحجج يتزايد بصورة مضطردة عبر الشريحة العمرية الممتدة من ١٢ حتى ٢١ عاما حيث كان متوسط عدد الحجج منخفضا لدى عينة الإعدادي (١١-١٣ عاما) ثم ارتفع بصورة دالة لدى عينة الثانوي (١٥-١٦ عاما) واستمر في الارتفاع على نحو دال أيضا لدى طلاب الجامعة (١٩-٢١ عاما) ، وهو ما يعكس ارتقاء في القدرات والمهارات العقلية المسئولة عن توليد الحجج كالاستدلال، والاستقراء ، والاستنباط ، والاستنتاج ، والطلاقة الفكرية ، ومهارات التفكير الناقد ، والتفيئة ، والتعميم ، والتفكير الاحتمالي الافتراضي ، واعتبار منظور الآخر وهي عمليات يترتب على ارتقائها توفر العناصر الأساسية الضرورية لبزوغ المهارات الحجاجية المحورية وممارستها بكفاءة وفعالية .

٢. **تحسن مهارات حجاجية معينة عبر العمر** : أوضحت النتائج أن هناك مهارات حجاجية بعينها يطرأ عليها تحسنا كبيرا عبر العمر حيث يزيد معدل استخدامها في عمليات المحاجاة مما يعد ملمحا ارتقائيا من قبيل مهارة إعادة تأطير القضية والتي تنطوي على إعادة تعريف المسألة المطروحة بصورة جديدة تخدم هدف الفرد ، وعدم الانسياق أو الاعتماد على الاستخدام الذي يفرضه الطرف الآخر عليه . وهو ما يكشف عن قدر أكبر من الاستقلالية الفكرية . وكذلك ارتفاع مهارة التعامل مع جانبي المسألة * ، والتي تعكس قدرة الفرد على إدراك الحجج المؤيدة والمعارضة في ذات الوقت، والموازنة بينهما مما يزيد من موضوعيته إبان المحاجاة ، وسعة

---

* ذكر أحد طلاب الإعدادي ما يعبر عن ذلك بقوله " إن الدروس الخصوصية تزيد من تفوق الطالب في المدرسة ولكن يدفع فيها الآباء أموالا باهظة " .

أفقه في النظر للموضوع ، فمن المعروف أن الحجة ذات الوجه الواحد One side argument تقدم فقط الوجهة التي يرغبها المتحدث أما ذات الوجهين two side فهي تضع في اعتبارها الأدلة المؤيدة والمعارضة (Megee & Wilson, 1984, 485) . ويؤكد " دى بونو " في هذا السياق على أن الخطوة الأولى في تعليم التفكير تكمن في توجيه انتباه الفرد إلى جميع النقاط المهمة – الإيجابية والسلبية – ذات الصلة بالموقف وتشجيعه على تفحصها بتروٍ (دى بونو ، ١٩٨٩ ، ٥٤) ، ومن يفشل في فعل ذلك أي الذى يركز على وجه واحد من المسألة ويتجاهل المعلومات التي تتعارض معها ، فإنه سيميل للوثوق في صدق أحكامه بصورة مفرطة مما يؤثر سلبا في فعالية عملية المحاجاة (Galotti, 1990) ، وكذلك حدث تحسن ملحوظ في كل من مهارة " التجذير " أي البحث في أصل المسألة والإمساك بالعوامل المحورية فيها ، و " العقلانية " والتي ترتكز على رفض الأحكام المطلقة والاعتماد على معايير موضوعية لإقامة الدليل ، و " التفريد "* أي مراعاة الفروق الفردية والظروف الخاصة والحالات الاستثنائية في الموقف ، " والواقعية " والتي تتضمن وضع القضية في حجمها الطبيعي ، وعدم تجاهل متغيرات الموقف ، والأحتكام للواقع كمحك ، ومن المفترض أن يؤدي نمو مهارات من قبيل الواقعية ، والعقلانية إلى أن يكون الفرد أكثر قدرة على تقييم الحجج والتأكد من أنها تقوم على مقدمات مقبولة ،

---

* قال أحد طلاب الجامعة مبررا رفضه إنهاء الإرسال التليفزيوني مبكرا للقضاء على السهر بقوله "هناك من يعودون من العمل ليلا متأخرا وبذلك لن يكون متاحا لهم وقت للمشاهدة " . وذكرت إحدى طالبات الجامعة ردا على مسألة منع توظيف النساء لتوفير فرص عمل للرجال " هناك نساء أرامل ومطلقات في حاجة ماسة إلى وظيفة " .

ومتصلة بالحقيقة ، وأن عينة الوقائع القائمة عليها ممثلة للواقع (Zechmeister & Johnson, 1992, 264) ، وتجعله أكثر وعيا بمخاطر التعميم المفرط والاستدلال من عينات صغيرة العدد ، وتمكنه من التعرف على طبيعة العلاقات السببية بين الظواهر (Lehman et al., 1988) . وحدث تحسن ملحوظ أيضا في مهارة "التفريد" أي النظر للحالات الخاصة والظروف والملابسات المحيطة بموقف معين، " وطرح بديل مغاير "* وابتكار فكرة مختلفة للحل عن التي طرحها الأخر ، أو الموافقة المشروطة على ما يطرحه ، و " تعظيم مفعول الحجة الشخصية " بوسائل متعددة من بينها إبراز " البديل الأسوأ " أي إبراز الآثار السلبية الناجمة عن عدم الموافقة على حجته مما يحث الطرف الأخر على الموافقة عليها ، وهي مهارة قريبة الشبه بما يسميه المناطقة " قياس الإحراج " ، أو ما يطلق عليه المتخصصون في علم التفاوض السياسي " تكنيك لا ترسلني إلى سيبريا " أي عرض بديلين على الطرف الأخر الأول سيئ جدا ، والأخر ، الذى يريده الفرد ، أقل سوء ، مما يشجع الطرف الأخر على قبوله مع أنه كان سيرفضه إذا قدم منفردا (الخضيري ، ١٩٨٨ ، ٢٧٣) ، " والعقلية التصنيفية " والتي تتضمن القدرة على تكوين فئات واقتراح أطر تصنيفية ذاتية ، وتتمثل أهمية تلك المهارة في أنها تعد إحدى الوسائل الأساسية التي تساعدنا على أن نعرف العالم بصورة منتظمة (Gudy – Kunst, 1991, 32) ، و " التفكير الافتراضي الاحتمالي " أي القدرة على تخيل أوضاع افتراضية معينة والحكم على صحة الحجة في ضوئها ، وهي من دلائل دخول الفرد في

---

* بدلا من إنهاء الإرسال مبكرا لمنع السهر نغير نمط الإرسال بحيث نقدم برامج متخصصة " هكذا قال أحد طلاب الجامعة .

مرحلة العمليات الصورية الارتقائية المعرفية والتي يعرفها بياجيه بأنها " القدرة على أن يضع الفرد في اعتباره كل الاحتمالات الافتراضية لحل المشكلة المطروحة وعواقبها أيضا " (Mcgee & Wilson, 1984, 274) . حين نفحص التغيرات الارتقائية السابقة سنجد أنها تشير إلى أن هناك نمط من الارتقاء الحجاجي تصبح بموجبه البنية الحجاجية للفرد أكثر تماسكا ، وتمايزا ، فهناك قدرة أكبر على إدراك أبعاد الموقف بصورة واقعية تحرص على البحث عن جذور المسألة وإصدار أحكام عقلانية حيالها ، وتضع في حسبانها الاعتبارات الخاصة للقضية ، ويعرض بموجبها الفرد حججه بصورة أكثر تسلسلا ومنطقية ، وينتهي فيه إلى طرح بديل مغاير يسعى لإقناع الطرف الآخر به اعتمادا على أساليب متنوعة منها طرح حجج شخصية متنوعة ، وإبرازه للبدائل الأسوأ التي قد تحدث في حالة عدم قبولها .

٣- بزوغ مهارات مستحدثة في مراحل نمائية لاحقة لم تكن موجودة من قبل : إن بزوغ تلك المهارات في مرحلة الثانوي والجامعة بعدما لم تكن موجودة بصورة محددة في مرحلة الإعدادي مثلما يظهر شعر الشارب لدى الفتى بعد ما لم يكن له وجود فعلي ، يعد أحد المؤشرات الارتقائية ، وتتمثل أهم هذه المهارات في " طرح مسلمات" كنقطة بداية ينطلق منها الفرد في عملية المحاجاة ليستمد منها نتائج يقنع أو يلزم بها الطرف الآخر، والمسلمات كما هو معروف عبارة عن مطلب يتقدم به الرياضي ويقول سلموا لي بنقطة البداية هذه ، وسوف يضطر ذهنكم طوال عملية الاستدلال إلى قبول ما استنبطه منها (موى ، ١٩٦٧ ، ١١٢-١١٣) ، وهي مهارة مهمة لأنها تعكس عملية استدلال معقدة تتم بهدف إقناع الآخر بوجهة

نظر معينة، وكذلك مهارة " استخدام الأسئلة " * في المحاجاة سواء كانت ذات طابع استفهامي أو استنكاري لأنه من خلال الاستخدام الملائم للأسئلة يستطيع الفرد الحصول على ، والربط بين المعلومات الحالية والجديدة لتشكيل نظام من المعرفة (King , 1994) ، وهو ما يحسن من نوعية عملية المحاجاة بطبيعة الحال ويجعلها أكثر خصوبة ومما يشير إلى أهمية الأسئلة أن عالم الفيزياء الشهير "إيزادور رابى" Isador Rabi الحاصل على جائزة نوبل في الفيزياء ذكر أن أمه كانت تسأله حين يأتي من المدرسة وهو طفل " ليس ماذا تعلمت " ، ولكن ما هي الأسئلة الجيدة التي سألتها اليوم ؟ مما شجعه على تنمية العقل المتسائل والناقد لديه (Ibid) ، وهو ما يدعونا لسبردور السؤال في المحاجاة بصورة أكثر تحديدا ، وخاصة الاستفهامي، والتوليدى، والاستنكاري ، والتعجبي ، وأثر ذلك في تحديد مستوى فعاليتها ونأمل أن يتسنى لنا ذلك في بحث لاحق .

وتتامت أيضا مهارة " الاستدلال العكسي " والذى يعني الانتقال للنقيض لإثبات صحة الحجة أي قلبها .. وكذلك مهارة عقد المقارنات بين مواقف مختلفة للتدليل على صحة ما يذهب الفرد إليه . ومن المعروف أن المماثلة كما يشير "جنتنر و هوليوك " آلية معرفية مفيدة تمكن الناس من إدراك أوجه الشبه وفهم الموقف الجديد في ضوء موقف سابق أصبح مألوفا وهي عملية مفيدة في بناء الحجج وحل المشكلات (Gentner & Holyoak, 1997) ، وكذلك مهارة " التوصل إلى حلول توفيقية لحسم الاختلاف حول المسألة وهو مؤشر ارتقائي وصمام أمان لضمان عدم

---

* بدأ استخدام الأسئلة الاستنكارية على أيدي طلاب الجامعة كوسيلة للمحاجاة مثل الطالب الذى قال ردا على قضية يجب منع الباعة الجائلين من الوقوف بالشوارع لماذا نغلق بابا للرزق الحلال ، لأناس لم يجدوا ما يسد جوعهم واحتياجات بيوتهم؟".

تفاقم النقاش وتحوله إلى نزاع ومن ثم صراع ، وكذلك " الاستدلال التاريخي " وتوظيف المعلومات التاريخية لتقديم أدلة مدعمة للحجة وهو ما يكشف عن سعة إطلاع الشخص ، وفي هذا الصدد يشير " سمول " إلى أن الاعتماد على معلومات مرجعية يزيد مع العمر (Small, 1990, 429) .

٤- **انحسار** بعض السلوكيات السلبية عبر الزمن كمؤشر للارتقاء : حيث بينت النتائج انخفاض معدل صدور بعض السلوكيات ذات الطابع السلبي مع التقدم في العمر حيث كانت أقل لدى الجامعيين مقارنة بعينة الإعدادي والثانوي من قبيل النظرة الجزئية للأمور ، ويشير دى بونو في هذا المقام - إلى أن الجزئية تعني أن ينظر الشخص إلى جزء من الموقف فحسب ، ويقيم حجته على أساس ذلك، كالطائفة التي تطالب بزيادة أجورها متجاهلة ما قد يسببه ذلك من ضرر للآخرين (دى بونو ، ١٩٨٩ ، ٨٣) " والتفكير الوجوبي " الذى يركز على ما يجب أن يكون ، " والتطرف الحكمي " حيث يصدر الفرد أحكاما * قاطعة لا مجال للتفاهم بشأنها ، و" التصلب الحجاجي" أي النظر للموقف من منظور أحادي وإغفال الأبعاد الأخرى فيه وهو ما يتناقض ، كما يقول " بالدوين " ، مع مبادئ الاتصال الفعال الذى يتضمن التأكد من الفهم المتبادل ، والتحدث بطريقة غير انفعالية، (Baldwin, 1992) ، وكذلك " التمركز حول الذات" ، والذى يرى ، بموجبه ، الطفل العالم من وجهة نظر واحدة هي نظرته (Matin, 1992, 314)،ويضيف "جلوفر" بعداً أخر قوامه أنه

---

* أشار أحد طلاب الإعدادي في هذا المقام إلى أنه يوافق على إعدام المدمنين لأنهم " سوف يحرضون جميع المصريين على الإدمان " .

يصعب على المتمركز حول ذاته اعتبار المعايير الاجتماعية ، وبالتالي يميل إلى إصدار أحكام من منظور شخصي (Glover, 1977) ، ومن المفترض أن يجعل ذلك الوضع من الصعب على الفرد أن يضع نفسه موضع الآخر لكي يفهمه ويتفهم توقعاته (Rubin et al., 1990) وهو ما يقلل من احتمال الوصول إلى اتفاق حول موضوع النقاش بينهما . وبناء على ذلك فإن الانخفاض التدريجي لذلك السلوك لدى عينة الجامعيين مقارنة بعينة الإعدادي ، ومرورا بالثانوي ، يعني قدرا أكبر من اعتبار الآخر، وانحسر أيضا معدل صدور سلوكيات من قبيل "العيانية" و " السطحية " فالمراهق كما يشيؤ " إيلكند " Elkind, 71 لم يعد يفهم كل شيء حرفيا كما كان من قبل بل يبدأ في إدراك المعاني المتعددة المتضمنة في صورة أو كلمة ما (الطواب، ١٩٩٧ ، ٣٥٩) وهو تصور مقبول علميا على أساس أن من مظاهر النمو العقلي في مرحلة المراهقة ارتقاء التفكير المجرد (إسماعيل ، ١٩٨٩ ، ٢١١) ، وانخفض أيضا معدل صدور سلوك " الشخصنة " Adhominem والذى يشير إلى التهجم على شخص الطرف الآخر وليس على حجته (Verderber, 1991, 342) ، ويلجأ الفرد عادة إلى ذلك حينما يتجادل مع آخر يقدم حجة قوية ولا يجد ثغرة في منطقه لتفنيدها (Zechmestir & Johnson, 1992, 273) ، ومن المفترض أن يقدم الانخفاض النسبي لهذه السلوكيات في العينات الأكبر سنا (الجامعيين) مقارنة بالأصغر سنا (الإعدادي) مؤشرا إضافيا لحدوث ارتقاء في مهارات المحاجاة .

٥- وجود مهارات لم يحدث بها تغير ملحوظ عبر العمر : ذلك أن بعض المهارات ظل معدل شيوعها ثابتا – نسبيا – بحيث كانت تميل

للانخفاض النسبي عبر كل العينات مثل " الانفعالية" * ، والاستمالة الوجدانية ، وهي تنتمي للجانب المزاجي ، ومن المعروف أنه أقل عرضة للارتقاء مقارنة بالجوانب المعرفية ، وكذلك لم يطرأ تغير يذكر على مهارة طرق زوايا جديدة (المرونة الحجاجية) ، واستخدام الأمثال في المحاجاة ، وكان هناك مهارات تكاد لم تستخدم تقريبا من قبل أفراد العينة مثل " المناقضة " أي تعليق الموافقة على أمر مستحيل ، والنقد الذاتي ، والمساءلة . ونجد من الضروري في هذا المقام التذكير بأن بعض هذه المهارات ذات أهمية كبيرة ، ومن ثم فإن الانخفاض النسبي في معدل شيوعها ، كضرب الأمثال مثلا ، يدعونا إلى النظر في حث الأفراد على التوسع في استخدامها بطرق متنوعة ، فتقديم الأمثلة – كما يقول " ديك " – من أكثر الأساليب فعالية لتوضيح المفاهيم وخاصة حين تكون مجردة ، وحين نتحدث عنها لأول مرة ، ولا يتاح لها نظير في العقل (Deeyk, 1994) ، فضلا عن أنها قد تؤيد ما يحاول الفرد إثباته ، ودحض ما يسعى لنفيه (Nisbett & Ross, 1980, 383) ، وينطبق هذا التحليل أيضا على مهارات من قبيل طرق زوايا جديدة لموضوع المحاجاة ، والنقد الذاتي .

ثانيا : الفروق بين الجنسين عبر العمر في ارتقاء مهارات المحاجاة:

١. كشفت النتائج عن أن النوع لم يؤثر بصورة دالة على مهارات المحاجاة بشكل عام ، بينما كان العمر صاحب التأثير الأكبر حيث لم نجد فروقا دالة بين الذكور ككل مقابل الإناث في متوسط عدد الحجج، ولم تظهر المقارنات الفرعية فروقا بين طلاب وطالبات الإعدادي ،

---

* قال أحد طلاب الثانوي في هذا المقام " إن عدم توظيف النساء يعتبر ظلم بشري " .

وكذلك الجامعة ، إلا أن الفرق الوحيد تمثل في أن إناث ثانوي أصدرن عددا من الحجج أعلى من ذكور ثانوي ، في تلك المرحلة فقط (المراهقة) ، ولكن الذكور تساووا معهم في مرحلة الجامعة . وهو ما قد يشجعنا على القول إننا إزاء عقلية حجاجية واحدة سواء كان صاحبها ذكرا أم أنثى ، وأن الخلاف في مستوى وطبيعة تلك العقلية يعزى لعوامل أخرى غير النوع مثل مستوى ارتقاء المهارات الفكرية والقدرات العقلية ، وسعة الإطلاع ، والانفتاح الثقافي بشكل عام .

٢. أما عن الفروق في نمط الارتقاء المهاري للمحاجاة فقد أوضحت النتائج أن المهارات الأكثر تغيرا (تحسنا) لدى الذكور تمثلت في إعادة تأطير الحجة ، والإطلالة على جانبي المسألة والواقعية ، وطرح بديل مختلف ، وإبراز البديل الأسوأ ، والموافقة المشروطة* ، والإشارات والاستشهادات الدينية ، والنظرة المستقبلية أما الإناث فقد تشابهن مع الذكور في تحسن بعض المهارات لديهن مثل إعادة التأطير ، والإطلالة على جانبي المسألة ، وطرح بديل مغاير ، والواقعية ، والموافقة المشروطة، بيد أنهن اختلفن في تحسن مهارة التجذير ، والتفريد ، والأحكام النسبية . حين نمعن النظر في المهارات التي ارتقت لدى الذكور والإناث بصورة متشابهة سنجد أنها تكشف عن ملامح لعملية المحاجاة لديهم تتسم بالاستقلالية ، والمرونة الفكرية وأخذ المتغيرات الموقفية بعين الاعتبار تمهيدا لاتخاذ موقف عقلاني من المسألة سواء بالموافقة - المشروطة عادة - أو طرح بديل مغاير يعتقد أنه أكثر كفاءة . وحين نتحول لفحص المهارات التي ارتقت بدرجة أكبر لدى

---

* ذكرت إحدى طالبات الإعدادي من هذا الصدد " أوافق على إلغاء المباريات في أيام الدراسة فقط وإذاعتها في أيام العطلات " .

الذكور سنلاحظ أنها تعكس قدراً أكبر من الاستدماج لبعد الزمن في عملية المحاجاة سواء كان في الماضي من خلال الاستشهاد بالمأثورات الدينية أو في المستقبل حيث يضع هؤلاء الشباب النظرة المستقبلية في اعتبارهم إبان المحاورة . وفي المقابل نجد أن الإناث تميزن بارتقاء مهارات تعكس الميل إلى النظرة التفصيلية للأمور والأخذ في الحسبان الظروف الخاصة للحالة * موضع النقاش وهو ما يجعلهن يملن إلى إصدار أحكام ذات طابع نسبي . وبطبيعة الحال فإنه من شأن نمو تلك المهارات أن يسهم في تحسين نوعية المحاجاة ، والتعامل مع عناصر الاختلاف مع الطرف الآخر فيها بصورة أكثر رقيا .

٣. فيما يتصل بالفروق بين النوعين في بزوغ مهارات حجاجية معينة في مراحل لاحقة فقد أوضحت النتائج أن مهارتا عقد المقارنات والتجذير بدأ ظهورهما لدى الذكور فقط في عينة الثانوي ثم ازداد تحسنهما في الجامعة ، أما طرح مسلمات والاستدلال العكسي ، والتاريخي ، والحلول الوسط فلم تظهر تقريبا سوى في الجامعة ، أما في عينة الإناث فإن مهارات عقد المقارنات واستخدام الأسئلة ، وإبراز البديل الأسوأ** والإفصاح عن الرأي فقد بدأ ظهورها في عينة الثانوي في حين أن الحلول الوسط ، والاستدلال العكسي ظهرت في الجامعة فقط . ويلاحظ أن حجم التحسن كان أكبر لدى الذكور مقارنة بالإناث في مهارات عقد المقارنات ، والاستدلال العكسي ، وطرح

---

* قالت إحدى طالبات الثانوي في هذا السياق " تعتبر الدروس الخصوصية ضرورية فقط للطلاب منخفضي الذكاء " .

** أشار أحد طلاب الجامعة كنوع من إبراز البديل الأسوأ في حالة منع الباعة الجائلين من الوقوف بالشوارع بقوله " كلمة بائع جائل أفضل بالتأكيد من متسول أو مجرم" .

المسلمات واستخدام الأسئلة . أما الإناث فكان التحسن أكبر لديهن في مهارة التقدم بالحلول التوفيقية .

٤. انحسار وضعف سلوكيات حجاجية معينة عبر النوع والزمن : تبين من استقراء النتائج أنه قد حدث تناقص ملحوظ لدى الذكور في بعض السلوكيات الحجاجية من قبيل : السطحية ، والتطرف الحكمي ، وعدم تنظيم الأولويات والتفكير الوجوبي ، والجزافي ، والنظرة الجزئية، والتمركز حول الذات ، أما الإناث فقد انخفض لديهن النظرة الجزئية ، والوجوبية ، والسطحية ، والتعميم المفرط ، والتصلب ، والعمومية ، وهو انخفاض ينطوي على أن نمط المحاجاة لديهن يسير في وجهة أكثر عمقا ، وتجريدا ، وعقلانية ، واعتباراً للآخر مما يعني ضمنا الارتقاء بمستوى عملية المحاجاة .

٥. هناك مهارات لم يحدث فيها تغير جوهري لدى كل من الذكور والإناث فلدى الذكور تمثلت تلك المهارات في الانفعالية والمرونة ، ثم التحيز ، والإطناب ، أما لدى الإناث فشملت التجريد ، والمرونة، والاستمالة الوجدانية ، والمبالغة ، والانسياقية ، وهناك مهارات تكاد لم تظهر لدى كل منهما تمثلت لدى الذكور في المساءلة ، والنقد الذاتي، والمناقضة ، ولدى الإناث في المناقضة ، والاستدلال التاريخي، والتهكم ، والقفز على المقدمات ، والفهم الخاطئ ، وهو ما يعني أنها تعد من الملامح المميزة للظاهرة في الثقافة المحلية لدى تلك الشريحة العمرية .

ثالثا : أنماط المحاجاة :

من المفترض أن هناك أنماط شائعة للمحاجاة ،مثلما أنماط الشخصية ، وأن كل فرد يمكن تصنيفه في نمط حجاجي معين يتكرر

بصورة متسقة عبر القضايا فـــهناك ، مثـــلا ، التفصيلـــي ، والمطنـــب ، والتجريدي ، والمعمم ، والحقلاني . وهذا النمط له ملامـــح معينـــة تميـــل للتكرار ، وهي نقطة من الأهمية بمكان بحثها بصورة أعمق لما لها مـــــن فائدة محورية في بناء برامج تنمية مهارات المحاجاة بحيث تصمـــم تلـــك البرامج بطريقة تتناسب مع هذه الأنماط واحتياجاتها التنموية . وحتى نبـــدأ بداية صحيحة لاكتشاف هذه الأنماط علينا أولا أن نكشف عمـــن نســـميهم المحاجين ، ثم نسعى للوقوف على نمط المحاجاة السائد لديـــهم فـــي كـــل مرحلة عمرية ، وفيما يلي خطوات القيام بذلك :

١. **تحديد الأفراد الأكثر حجاجا أو من لديهم قدرة أكبر علـــى توليـــد** الحجج عبر العمر . كي نستطيع أن نقف على نسبة هـــؤلاء عـــبر الفئات العمرية قمنا بحساب نسبة وتكرارات الأفراد في كل فئة مـــن فئات عدد الحجج لكل عينة ويبين الجـــدول التـــالي حجـــم ونســـبة هؤلاء.

جدول رقم (١٣)

نسب وتكرارات فئات الحجج فى العينات الثلاث

العينة / تكرارات ونسب فئة عدد الحجج	إعدادى*	ثانوى	جامعة
	ك (%)	ك (%)	ك (%)
١٠-٧	٤٥	٣٣	١٠
١٤-١١	٣٥	٢٩	٢٣
١٨-١٥	١٨	٢٢	٣٠
٢٢-١٩	٢	١٤	١٦
٢٦-٢٣	-	٢	١٥
أكثر من ٢٦	-	-	٦
الإجمالى	١٠٠	١٠٠	١٠٠

يكشف الجدول السابق رقم (١٣) عن عدة مؤشرات

- **الانخفاض** التدريجى لنسبة من طرحوا عددا قليلا من الحجج (التى تقل عن عشر حجج) عبر العمر حيث كانت نسبة هؤلاء فى عينة الإعدادى (٤٥%) وأصبحت (٣٣%) في الثانوى ، وحين حسبنا دلالة الفرق بين النسبتين بلغت قيمة النسبة الحرجة (٣,٢) وهى دالة عند مستوى (٠,٠١) ، أى أنها انخفضت بصورة دالة . وأصبحت هذه النسبة لدى عينة الجامعة (١٠%) فقط ، وقد كان الفارق بين نسبة هؤلاء فى الجامعة والثانوى دالا أيضا عند مستوى ٠,٠١ حيث بلغت قيمة النسبة الحرجة (٩,٨) ، وبطبيعة الحال كان الفارق بين نسبة هؤلاء فى الجامعة مقارنا بالإعدادى دالا أيضا .

---

* نظرا لأن عدد أفراد كل عينة (١٠٠) فرد فإن التكرار سيكون مطابق للنسبة المئوية ولذا اكتفينا بوضعهما معا فى عمود واحد .

- بلغت نسبة من قدموا عدداً أكبر من الحجج (أكثر من خمس عشرة حجة) على مجمل القضايا فى عينة الإعدادى (٢٠%) فقط ثم ارتفعت هذه النسبة لتصل إلى (٣٨%) من عينة الثانوى ، وقد كان الفارق بين النسبتين دالاً عند مستوى (٠,٠٠١) حيث بلغت قيمة النسبة الحرجة (٦,٧) ، وأزداد ارتفاع نسبة هؤلاء المحاجين فى عينة الجامعة لتبلغ (٦٧%) . أى أن ذوى القدرة المرتفعة على توليد الحجج لم يشكلوا سوى خمس عينة صغار السن (الإعدادى) مقابل ثلثى أفراد عينة الأكبر سناً من طلاب الجامعة ، وهو ما يكشف عن ارتقاء حجاجي يتمثل فى ظهور نسبة أكثر من المحاجين فى تلك المرحلة العمرية الأكبر .

- لم يصل أى فرد فى عينة الإعدادى إلى فئة من لديهم قدرة فائقة على طرح الحجج أو ذوى الطلاقة الحجاجية المرتفعة (أكثر من ٢٣ حجة)، فى حين لم يشكلوا سوى نسبة (٢%) من الثانوى ، وارتفعت نسبتهم لتصل إلى (٢١%) من طلاب الجامعة ، وقد كان الفارق بين النسبتين دالاً عند مستوى ٠,٠١ حيث بلغت قيمة النسبة الحرجة (١٧,١) .

- حين فحصنا تكرارات نسب فئات عدد الحجج تبعاً للعمر والنوع معاً لم تختلف ملامح الصورة كثيراً سوى أن بنات الثانوى كن أكثر طلاقة حجاجية من ذكوره .

٢- تقدمنا خطوة أكثر تفصيلاً للوقوف على طبيعة النمط الحجاجي السائد لدى أفراد العينات العمرية الثلاث ومظاهر تحولاته الإرتقائية . ويوضح الجدول التالى رقم (١٤) أبرز المهارات الحجاجية الشائعة لديهم على النحو التالى .

جدول رقم (١٤)

ملامح نمط المحاجاة الساند لدى أفراد العينات الثلاث

العينة / ترتيب المهارة	الإعدادى		الثانوى		الجامعة	
	المهارة	ك	المهارة	ك	المهارة	ك
١	الجزئية	٨٩	إدراك جانبي الحجة	٨٤	إدراك جانبي المسألة	١٤٢
٢	إدراك جانبي المسألة	٦٨	الجزئية	٧٦	إعادة تأطير القضية	١٢٩
٣	التمركز حول الذات	٦٦	الواقعية	٦٢	الواقعية	٩٢
٤	الوجوبية	٤٨	التسلسل	٥٨	طرح بديل مغاير	٨٨
٥	التطرف الحكمي	٤٧	طرح بديل مغاير	٥١	التجذير	٦٩
٦	التصلب الحجاجي	٤٤	الإشارات الدينية	٥١	الحجج الشرطية	٦٣
٧	السطحية	٤٣	الحجج الشرطية	٣٨	طرح مسلمات	٥٩
٨	الغيابية	٤٢	العمومية	٣٧	التفريد	٥٩
٩	التسلسل الحجاجي	٤٠	اعتبار الآخر	٣٦	التسلسل الحجاجي	٥٧
١٠	طرح بديل مغاير	٣٨	العقلانية	٣٦	استخدام الأمثلة	٥٢
١١	الواقعية	٣٦	التجذير	٣٦	العقلانية	٤٩
١٢	عدم تنظيم الأولويات	٣٥	الانفعالية	٣٤	تعظيم معقول الحجة	٤٥
١٣	الانفعالية	٣٥	الفعلية التصنيفية	٣١	إبراز البديل الأسوأ	٤٤
١٤	التفريد	٣٠	القدرة التمييزية	٣٠	العقلية التصنيفية	٣٩
١٥					النظرة المستقبلية	٣٨
١٦					اعتبار الآخر	٣٤
١٧					عقد المقارنات	٣٤
١٨					الاستدلالي العكسي	٣٢
١٩					الأحكام النسبية	٣١
					التفكير الاحتمالي الافتراضي	٣٠

حين نفحص نتائج هذا الجدول لكي نستخلص ملامح نمط المحاجاة في كل مرحلة عمرية سنجد ما يلي :

- **فيما يتصل بمرحلة الإعدادي فإن أكثر تلك السلوكيات بروزا تمثلت في النظرة الجزئية ، والنظر من زاوية واحدة للمسألة (التصلب) ، والتطرف في الحكم ، والتفكير الوجوبي ، والسطحية، والعيانية ، والتمركز حول الذات وهي سلوكيات ذات طابع سلبي، أما السلوكيات الحجاجية الإيجابية فقد أتت في مكانة أقل تقدماً ، وكانت أقل شيوعا من قبيل التسلسل الحجاجي ، وطرح بديل مغاير * ، والواقعية ، والتفريد ، أي أن السلوكيات السلبية بلغ عددها (٩) مقابل (٥) إيجابية .**

- **أما المهارات الحجاجية السائدة في عينة الثانوي فتمثلت في الإطلالة على جانبي المسألة ، والتسلسل الحجاجي ، والإشارات الدينية ، والواقعية ، واستخدام الحجج الشرطية ، واعتبار الآخر ، والعقلانية، والتجذير ، والعقلية التصنيفية ، وهي سلوكيات ذات طابع إيجابي ، أما ذات الطابع السلبي فكانت النظرة الجزئية ، والانفعالية والعمومية أي أن معظم المهارات الأكثر شيوعا والتي شكلت النمط الحجاجي لهم كانت ذات طابع إيجابي (١١) مقابل ثلاثة سلوكيات فقط ذات طابع سلبي .**

- **وبالنسبة لعينة الجامعة فقد كانت مجمل المهارات الأكثر شيوعا والمعبرة عن نمطهم الحجاجي ذات طابع إيجابي (١٥ مهارة) حيث تمثلت في الإطلالة على جانبي المسألة ، وإعادة تأطير القضية ، والواقعية، وطرح بديل مغاير ، والتجذير ، واستخدام الحجج الشرطية ، والتفريد ، وطرح مسلمات ، والتسلسل الحجاجي ، واستخدام الأسئلة ، والعقلانية ، وتعظيم مفعول الحجة الشخصية ،**

---

* قالت إحدى طالبات الإعدادي " الرأي الأصوب – بدلاً من إعدام المدمنين – هو إعدام من يروجون للمخدرات" .

وإبراز البديل الأسوأ ، والعقلية التصنيفيـــة ، والنظـــرة المســـتقبلية للأمور .

نخلص من هذا إلى أن كل فئة تتسم بغلبة **نمط حجاجي** معين فيـــها دون غيرها ففي **الإعدادي** كان سائدا فيها نمط حجاجي سلبي يتسم بالذاتيـــة وأحادية الرؤية والتعجل في إصدار الأحكام ، والتشبث بالرأي الشـــخصي بغض النظر عن صحته ، وتجاهل المتغيرات الواقعية ، والغياب النســـبي للنظرة المستقبلية بيد أن هذا النمط الحجاجي أصبح يأخذ ملامح مختلفـــة - أكثر إيجابية - وفي المرحلة **الثانوية** تمثلت في التخلي عن رؤية المســـألة من زاوية واحدة فقط ، وإصدار أحكام أكثر عقلانية ، ومحاولة البحث فـــي جوهر القضية ، وتفهم وجهة نظر الآخر حولها . وفي المرحلة **الجامعيـــة** حدث تحسن نوعي أيضا في ذلك النمط حيث أصبح الفـــرد أكـــثر تفـــهما للآخر ، وانفتاحا على آرائـــه ، ومحاولـــة فهمـــه ، والإحاطـــة بجوانبـــه التفصيلية ، من خلال طرح المزيد من الأسئلة عليه ، والسعي في الوقـــت ذاته لإقناع الطرف الآخر برأيه بوسائل متنوعة بعضها إغرائي من خـــلال طرح مسلمات واشتقاق نتائج ملزمة منها والآخر تخويفي وذلـــك بـــإبراز البديل الأسوأ في حالة عدم قبول ما يترتب على مسلماته ، وذلك في ظـــل مراعاة الطابع الخاص للموقف والأخذ بعين الاعتبار الحـــالات الخاصـــة والاستثنائية للمسألة أي أنه يمكننا القول أن **النمط الحجاجي** للأفراد يســـير في وجهة ارتقائية تمتد على عدة محاور قوامـــها المزيـــد مـــن المرونـــة الحجاجية ، والنظر للجوانب الإيجابية والسلبية للمسألة ، والتخلـــي عـــن التمركز حول الذات واعتبار منظور الآخر بدرجـــة أكـــبر ، والاحتكـــام للمعايير العقلانية والواقعية في إصدار الأحكام على الأمـــور ، والغـــوص بدرجة أكبر نحو أساس الأشياء وعدم الاكتفاء بالتعـــامل معـــها وفهمـــها بصورة سطحية ، وتجميع مزيد من المعلومات بوسائل متعـــددة عنـــها .

وتتمايز الوظائف الحجاجية لدى الفرد حيث لا يكتفي بأن يكون مقنعا لوجهات نظر الآخر ومدافعا عن وجهات نظره أي النظرة التفنيدية - الدفاعية ، بل يحاول أيضا أن يمارس الوظيفة الإقناعية الاستمالية لجذب الآخر لصفه . كذلك يتعامل الفرد مع عامل الزمن بصورة أكثر تنوعا فتتجاوز نظرته اللحظة الراهنة ويستند إلى الأدلة التاريخية لدعم تصوراته، ويضع النظرة المستقبلية للأمور في حسبانه أيضا .

• **ويلاحظ** أن هذا النمط الحجاجي لا يختلف كثيرا لدى الذكور عن الإناث حيث أننا حين حاولنا استطلاع نمط **الذكور** مقابل الإناث في المحاجاة وجدنا أن أكثر المهارات شيوعا لدى الذكور تمثلت مرتبة ترتيبا تنازليا من حيث الشيوع في الإطلالة على جانبي المسألة ، والقفز على المقدمات ، والنظرة الجزئية ، وطرح بديل مختلف عن الذى يطرحه الآخر، والواقعية ، وإعادة تأطير المسألة ، والتسلسل الحجاجي ، والحجج الشرطية ، والتفريد ، والتمركز حول الذات ، والتجذير .

أما بالنسبة **للإناث** فكان الإطلالة على جانبي المسألة ، والواقعية وطرح بديل مغاير ، وإعادة تأطير القضية ، والتسلسل الحجاجي ، والتمركز حول الذات ، والحجج الشرطية والتجذير ، والتفريد ، والعقلانية، والانفعالية .

تكشف هذه المقارنة - بشكل عام - عن وجود قدر مرتفع من **التشابه** في النمط الحجاجي بينهما حيث احتلت قائمة المهارات الأكثر شيوعا لدى كل منهما تسع مهارات متشابهة ، بغض النظر عن الاختلاف النسبي لترتيب كل منها بالقائمة ، وهو ما يشير بصورة عامة ، إلى تشابه بنية مهارات المحاجاة لديهما على الرغم من وجود بعض الفروق المحدودة من قبيل أن الذكور أكثر جزئية ومحاولة لفرض وجهات نظرهم

على الآخر بالقفز على المقدمات في حين إن الإناث أكثر استقلالية ولديهن ميلا للعرض المتوازن للحجج ، ويغلب عليهن أحيانا الطابع الانفعالي وقد يعزى ذلك إلى التنفيس أو مقاومة فرض وجهات النظر عليهن ، أو تعظيم الأثر الإقناعي للحجة .

رابعا : مؤشرات صدق الأداة والنتائج :

تم الحصول من نتائج البحث على العديد من مؤشرات صدق التكوين لأداته حيث دعمت تلك النتائج الكثير من التصورات النظرية المسبقة ، واتفق بعضها مع ما توصلت إليه الدراسات السابقة من وقائع ، وقد تمثلت تلك المؤشرات في :

- **تبين** كما هو متوقع أن هناك علاقة إيجابية بين العمر ومتوسط عدد الحجج التي يولدها الفرد في مواقف المحاجاة وبخاصة في الشريحة العمرية المستهدفة للدراسة (من ١٢ حتى ٢١ عاما) حيث كان متوسط عدد حجج عينة الجامعة أكبر من عينة الثانوي بصورة دالة ، والإعدادي أقل من الثانوي بشكل دال أيضا أي أن هناك تأثير واضح لمتغير العمر على عدد الحجج .

- **حدث** انخفاض ملحوظ عبر العمر في معدل شيوع العديد من السلوكيات الحجاجية السلبية مثل : إصدار الأحكام القاطعة دونما أدلة كافية ، والتعميم المفرط ، والألفاظ العدائية ، والنظرة الجزئية للأمور*، والتمركز حول الذات حيث كانت هذه السلوكيات شائعة بدرجة أكبر لدى عينة الإعدادي حتى أنها شكلت نمطهم الحجاجي في

---

* علل أحد طلاب الإعدادي موافقته على إزالة الأحياء العشوائية ونقل سكانها خارج القاهرة بقوله " إن الأحياء العشوائية يقطن بها البلطجية و المدمنين " .

حين تراجعت بدرجة كبيرة في عينة الثانوي ، وبدرجة أكبر في عينة طلاب الجامعة .

- **أوضحت النتائج أن هناك بعض المهارات الحجاجية تزداد قوة عبر** الزمن بصورة متدرجة مثل مهارة " إعادة تأطير القضية " حيث برزت بصورة أكثر شيوعا لدى الجامعيين مقارنة بطلاب الإعدادي ، وكذلك .. الإطلالة على جانبي المسألة ، والنظرة الواقعية للمسألة والأخذ في الاعتبار العديد من المتغيرات الموقفية ، وهي مؤشرات ارتقائية تتسق مع الأطر النظرية الخاصة بارتقاء المهارات المعرفية نحو مزيد من التجريد ، واعتبار منظور الآخر ، وتجاوز النظرة الأحادية للقضية . ويلاحظ أن العديد من هذه النتائج اتفق بشكل عام مع نتائج دراسات سابقة مثل دراسات Galotti, 90 التي أثبتت ارتقاء التفكير الافتراضي عبر العمر وخاصة إبان فترة المراهقة ، ودراسة Schaffer, 93 والتي تشير إلى ارتقاء مفهوم اعتبار الآخر في تلك الشريحة العمرية ، وكذلك دراسات Small, 90 والتي كشفت عن نمو القدرة على التعامل مع الحجج الشرطية في تلك الفترة أيضا .

خامسا : بحوث مقترحة وأفكار مستقبلية :

من المتعارف عليه أن معيار كفاءة ومصداقية أي بحث تتمثل في قدرته على إثارة العديد من التساؤلات الواجبة البحث على أيدي باحثين آخرين مستقبلا ، وقد أثمر هذا البحث في إثارة العديد من التساؤلات التي يقترح دراستها لاحقا قوامها ما يلي :

- **طالما** أن النتائج تشير إلى أن هناك ارتقاء يحدث في مهارات المحاجاة ، لذا فنحن في حاجة لفهم الكيفية التي يحدث بها هذا الارتقاء، والوقوف على العوامل التي تسهم في تشكيل وتوظيف ذلك

الفهم في توجيه الدراسات التحكمية التي تهدف إلى تنمية مهارات المحاجاة بصورة مخططة ، وبناء على هذا التصور نقترح إجراء دراسات حول دور بعض المتغيرات المحورية في تحديد مستوى مهارات المحاجاة من قبيل سمات الشخصية ، وكنموذج لها سمة " التيقظ العقلي" Mindfulness والتي يشير "إيلين لانجير Ellenlanger, 89 إلى أنها تتضمن ثلاثة مكونات فرعية هي صنع فئات جديدة ، والانفتاح على أفكار مختلفة أصيلة ، والوعي بأكثر من منظور للمسألة (Gudykunst, 1991, 32) ، وكذلك متغير الاتجاه نحو المحاجاة ودوره في حث الفرد على الانخراط في أو الانصراف عن الاشتراك في المحاجات المتنوعة ، وكذلك متغير معدل التعرض لمحاجات سابقة ، وإدراك عائدها ، فضلا عن القدرات الإبداعية وبوجه خاص المرونة والأصالة والطلاقة الفكرية ، وكيفية استثمارها في تطوير ورفع كفاءة العملية الحجاجية .

- **الكشف** عن المحاجين وهم الأفراد الأكثر قدرة على إنتاج الحجج ، وإجراء دراسات مكثفة عليهم للوقوف على العوامل التي أسهمت في تنمية تلك المهارات لديهم ، فضلا عن الاستراتيجيات الحجاجية التي يلجأون إليها ، وفي هذا الصدد يشير " ماكلويد" Macled, 78 إلى أن الناس يختارون الاستراتيجية الحجاجية الملائمة في ضوء تحليل التكلفة بين المتاح لهم منها ، وبين التي تمكنهم قدراتهم من تنفيذها بفعالية ، والمفضلة لديهم بدرجة أكبر (Rberts et al., 1997) .

- **الثقافة والمحاجاة** : من المفترض وجود علاقات متنوعة بين الثقافة والمحاجاة فهناك فروق بين أفراد الثقافات المختلفة في المهارات الحجاجية ، والقدرة على توليد الحجج ، وفي مدى حث الثقافة على ممارسة عمليات المحاجاة ، ودعمها أو كفها ، ومن

المتوقع في العالم العربي أن نجد فروقا عبر ثقافية ، وداخل الثقافة الواحدة عبر ثقافاتها الفرعية في معدل ممارسة عمليات المحاجاة ، ومدى المهارة في ذلك، ويشير " إدواردز " Edwards, 86 في هذا السياق إلى أن مدى ثراء الثقافة ، وتشجيعها على ممارسة العمليات الاستدلالية (الحجاجية) ، ومدى اتصال أفرادها بثقافات أخرى يسهم في صقل تلك المهارات لديهم (Mrqulis & Valavides, 1997) ، يضاف إلى ذلك أننا بحاجة إلى الكشف عن مظاهر سوء الفهم الثقافي أثناء عمليات المحاجاة بين أفراد من ثقافات مختلفة حتى نزيد من فعالية تلك العمليات بينهم ، وخاصة في مجالات التفاوض السياسي ، والعلاقات الدولية .

- تحليل مجموعة من المحاجات الفعلية سواء تلك التي تجرى في ساحات المحاكم ، أو المناظرات التليفزيونية ، أو المناقشات الزواجية، أو المعارك الصحفية ، وكذلك تحليل عمليات التفاوض، والمساومة ، وكتابات المشاركين فيها بعد انتهائها (Lambert, 1997) بغية الكشف عن مجموعة المبادئ والآليات الحوارية المستخدمة فيها مثل : الاقتناص ، وإدعاء عدم الفهم للاستدراج ، والإنهاك ، وتعمد الإبهام، والتعميم المفرط ، والاستمالة ، والمماثلة ، وتوظيف وعينا بتلك الأساليب في بناء برامج لتنمية مهارات المحاجاة والتي يشير العديد من الباحثين إلى إمكانية تنميتها من خلال المران (Sills, 1972) ، وفي فترات عمرية مبكرة فعلى سبيل المثال كشفت دراسات "هيرنشتاين وزملاؤه " Hernshtien et al., 86 أنه يمكن تدريب الأطفال في الابتدائي على استراتيجيات الاستدلال وكيفية استخدامها في تحليل القضايا ، والحجج المركبة ، وتقييم مدى اتساقها ، وأوجه

- دور عمليات العزو والقواعد الحدسية في المحاجاة : ابتداء يشير العزو Attribution إلى قدرة الفرد على التسليم بوجود العديد من المعارف والمشاعر والنوايا لدى الآخر ، والاعتماد عليها في تفسير والتنبؤ بسلوكه (Bonaiuto & Fasulo, 1997) ومن المتوقع أن يؤدي فهم دور عملية العزو في المحاجاة إلى تعظيم فعاليتها ، فقد تكون الحجة المضادة قائمة على خطأ تحيزي عزوي ومن ثم فإن كشفه يهدم الحجة. وكما هو معروف فهناك مصادر متعددة لأخطاء العزو مثل تحيز العزو الأساسي Fundamental attribution والذى يتمثل في ميل الفرد لعزو سلوك الآخرين لاستعدادات شخصية وعوامل داخلية ، وعزو سلوكه في المقابل لعوامل خارجية (Nisbett et al., 1982) ، فنجده مثلا ينسب فشله لعوامل خارجية ، وفشل الآخرين لعوامل ذاتية (فحين يرسب الآخر فلأنه قليل الذكاء أما هو فلأن المصحح متشدد ويضطهده) وفي المقابل ينسب نجاحه لعوامل ذاتية ، ونجاحهم لعوامل خارجية (فهو ترقي لكفاءته أما هم فلأن لهم أقارب مهمين) . (Baron & Byrne, 1991, 66-70) ، وهناك مصادر تحيز أخرى تنبع من الاعتماد على القواعد الحدسية Heuristics ، ومن المعروف أن الشخص يلجأ لاستخدام تلك القواعد لأنها تفيده في تقييم احتمالات ، والتنبؤ بقيم معينة بيد أنها نظرا لارتجاليتها فقد تؤدي إلى أخطاء منتظمة ، ومن القواعد الحدسية الشهيرة : التمثيل أي مدى انتماء الموضوع وتمثيله لفئة معينة (تمثيل العينة للجمهور) ، والإتاحة، أي تقييم احتمال ما من خلال سهولة حضور الأمثلة المتصلة به للذهن (تقدير نسب الطلاق من خلال الحالات المحيطة بالفرد) ، والإرساء أي إصدار تقديرات من خلال البدء من قيمة أولية وتعديلها في ضوئها (Tversky & Kahneman, 1982) ، وعموما فنحن نستخدم تلك الطرق العقلية الحدسية المختصرة نظرا لمحدودية معلوماتنا وطاقتنا

المحدودة على معالجتها لكي تساعدنا على تفسير ما ندركه (Kumar, 1997) وقد ينتج عن استخدام تلك القواعد بعض المغالطات Fallacies (Baron & Byrne, 1991, 126) ، ومن شأن فهم دور تلك الأخطاء وآثارها السلبية في عملية المحاجاة تقليص تلك الآثار . فعلى سبيل المثال فإن الوعي بالأخطاء الناتجة عن عملية التمثيل يجعلنا أثناء المحاجاة أكثر تحريا للدقة ونحن بصدد إصدار عمليات التعميم ، والميل إلى التكميم بدلا عن الأوصاف الكيفية .

وفي ختام البحث يعن للباحث من قبيل ممارسة النقد الذاتي تسجيل بعض النقاط التي يحسن تجنبها في بحوث لاحقة قوامها :

- أقتصر البحث الحالي على دراسة الارتقاء في مهارات المحاجاة في شريحة عمرية محدودة (من ١٢ حتى ٢١ عاما) ، وبما أنه يتوقع أن الارتقاء قد يبدأ من فترة قبل ذلك ، ويستمر إلى ما بعدها أيضا ، لذا فنحن في حاجة لاحقا إلى البدء من أعمار أصغر مما تناولناه في عينتنا فضلا عن الامتداد إلى فئات عمرية أكبر سنا تشمل الثلاثينات والأربعينات وحتى الخمسينات من العمر حتى ندرس طبيعة التغيرات الارتقائية فيها .

- من المعروف أن تعميم نتائج البحوث مرهون بطبيعة العينة ومدى تمثيلها للجمهور المستمدة منه ، وبما أن عينة البحث الحالي تم الحصول عليها بطريقة غير عشوائية ، إذن فإنه يجب وضع هذا القيد في الاعتبار ونحن بصدد محاولة الامتداد بنتائج الدراسة ، من خلال عمليات الاستقراء ، إلى أفاق أوسع .

- قمنا في البحث الحالي بتحليل عمليات محاجاة كتابية قام بها طوف فعلي (المبحوث) ردا على طرف غير موجود أمامه مباشرة ، وهو ما يجعل تناولنا للمحاجاة ذات طابع بنائي إلى حد ما ، ومن ثم فنحن في حاجة مستقبلا إلى تحليل عمليات محاجاة تفاعليه بين أطراف في موقف مواجهة لأن ذلك يمكننا من فهم ديناميات المحاجاة بصورة أكثر عمقا على نحو يسهم بإلقاء مزيد من الضوء على طبيعة تلك العملية .

ونأمل أن نتمكن نحن أو غيرنا من الباحثين من استيفاء تلك النقاط حتى نتمكن من تحقيق قدر أكبر من الإحكام في دراسة تلك الظاهرة بما يثري معلوماتنا حولها ويعود بالنفع على مواطنينا .

قائمة المراجع :

- أبو حطب ، فؤاد ، وصادق ، أمال (١٩٩٥) **نمو الإنسان من الجنين حتى المسنين (ط٣)** ، القاهرة : الأنجلو المصرية .
- إسماعيل ، محمد عماد الدين (١٩٨٩) **الطفل من الحمل إلى الرشد** (جـ٢) ، الكويت : دار القلم .
- الخضيري ، محسن أحمد (١٩٨٨) **التفاوض** ، القاهرة : الأنجلو المصرية .
- دى بونو ، أدوارد (١٩٨٩) ترجمة : عادل عبد الكريم عيسى ، وإيمان أحمد ملحم ، وتوفيق أحمد العمري ، **تعليم التفكير** ، الكويت : مؤسسة الكويت للتقدم العلمي .
- سلطان ، حنان عيسى (١٩٨٦) تأثير الرياضيات التقليدية والمعاصرة في تنمية التفكير الاستدلالي لطلاب وطالبات الصف الأول الثانوي في مدينة الرياض ، **دراسات تربوية** ،٣، ٧٩-١٢٢.
- طعيمة . رشدي (١٩٨٧) **تحليل المحتوى في العلوم الإنسانية** ، القاهرة : دار الفكر العربي .
- الطواب ، سيد محمود (١٩٩٧) ، **النمو الإنساني : أسسه وتطبيقاته**، الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية .

- الفقي ، حامد عبد العزيز (١٩٩٤) ، أسـئلة الأطفـال وأجوبتـهم وعلاقتها بنمو المفاهيم العقلية لديهم ، في الأسرة والطفل وفـرص السلام القادم في العالم العربي ، الكويت : **الجمعية الكويتية لتقـدم الطفولة العربية** ، الكتاب السنوي التاسع ، ٨١-١٠٥ .

- فيشر روجرز ، براون سكوت (١٩٩١) ، ترجمة محمـد محمـود رضوان : **نحو التآلف والاتفاق** ، القاهرة : الدار الدوليـة للنشـر والتوزيع .

- موى ، بول (١٩٦٧) ترجمة فؤاد زكريا ، **المنطق وفلسفة العلوم**، القاهرة : دار النهضة المصرية .

- Baldwin, T, T (1992) effects of alternative modeling strategies on outcomes of interpersonal skills training, **Journal of Applied psychology**, 72,2, 147, 154.

- Baron, R, & Byrne, D (1991) **Social Psychology : understanding human interaction** (6ed) , Boston : Allyn and Bacon.

- Boiney, L, G; Kennedy, J & Nye, p (1997) Instrumental bias in motivated reasoning : more when more is nedded, **organizational Behavior and Human decision processes**, 72,1, October, 1-24.

- Bonaiuto, M & Fasulo, A (1997) Rhetorical intentionally attribution : its ontogenesis in ordinary conversation, **British Journal of social psychology**, 36, 911-936.

- Croven, V, E (1976) The interaction of refutation type, involvement and authoritativeness, in Blankenship , J & stelzner , H, G (Eds) **Rhetorie and communication,** Chicago : University of fllinois press, 155 - 170.

- Decyk, B, N (1994) using examples to teach concepts, in Halpern, D, F **changing college classroom**, San Francisco : Kossey - Bass pub , 39-63.

- Galotti, K, M (1990) Approaches to studing formal and everyday reasoning , **psychological Bulletin**, 105,3,331-351.

- Gentner, D & Holyoak, K, J (1997) Reasoning and learning by analogy , **American psychologist** , January, 92, 1, 32-34.

- Glover, R, J (1997) Relationships in moral reasoning and religion among members of conservative, moderate, and liberal religious groups, **The Journal of social Psychology,** 137,2,247-254.

- Gudykunst, W,B (1991), **Bridging differences effective inter group communication,** London : sage pub.

- Halpern, D, F (1994) Rethinking college instruction for a changing world in Halpern, N, F , **changing college classroom** , San Francisco : Jossey - Bass pub, 1-12.

- Halpern, D, F (1998), Teaching critical thinking for transfer across domains, **American Psychologist**, April, 53,4,449-455.

- Jachson, S & Jacobs, S (1980) structure of conversational argument : Pragmatic bases for the enthymenne, quarterlys, **Journal of speech**, October, 251-265.

- Johnson, K, L & Roloff, M, E (1998) serial arguing and relational quality, **communication research**, 29,3, June, 327-343.

- King, A (1994) Inquiry as a tool in critical thinking, in Halpern, D,F **changing college classroom** , San Francisco : Jossey - Bass Pub, 13-38.

- Klaczynski, P,. K & Narasimham, G (1998) development. Of scientific reasoning biases : Cognitive versus ego-protective explanations, **developmental Psychology** , 34,1,175-187.

- Kumar, R (1997) the role of affect in negotiations : an investigative overview, **Journal of Applied Behavioral science**, 33,1, March , 84-100.

- Lambert, K, M (1997) Revealing the process and outcome of hostage negotiations : The utility of structural analysis, **The social science Journal**, 34,1,11-20.

- Lehman, D, R; Lampert, R, O & Nisbett, R, (1988) The effects of graduate training on reasoning , **American Psychologist**, June, 431-442.

- Morkoulis, D & Valavides, W (1997) Antecedent variables for sociomoral reasoning development : evidence from two cultural settings; **International Journal of psychology** , 32 (9), 301 313.

- Matin, M, W (1992) **Psychology**, New York : Harcourt Brace Govanovich pub.

- Mcgee, M, G & Wilson , D, W (1984) **Psychology: Science and application**, New York : West publishing Co.

- Mcpeck, J, E (1990) **Teaching Critical thinking**, New York : Routledge.

- Measell, J, S (1976) development of the concept of analogy in Rhetorical theory, in Blankenship, J & stelzner, H, G (Eds), **Rhetoric and communication**, Chicago : university of Illinois press, 34-45.

- Nisbett, R, G & Ross, L (1980) Human inferences : **strategies and shortcomings of social judgment** , New Jersey : Prentice Hall, Inc.

- Nisbett, R.; Krantz, D, H.; Jepson, C & Fong, G, T (1982) Improving induction inference in Kahneman , D; sloviec, C, A & Tversky, **A, judgment under uncertainty: Heurstics and baises**, Cambridge : Cambridge university press, 445-459.

- Rancer, A, S.; Whitecap, V, G.; Kosberg, R, L & Avtgis, T, H (1997) Testing the efficacy of a communication training program to in crease argumentativeness and argumentative behavior in adolescents, **communication education**, 40, October, 273-284.

- Roberts, M, J.; Gilmore, D, J & Wood, D, J (1997), Individual difference and strategy selection in reasoning , **British Journal of psychology**, 88, 473-492.

- Rubin, J, S; Kin, S, H & peretz, N, M (1990) Expectancy effects and negotiation , **Journal of social Issues**, 46,2,129-139.

- Schaffer, D, R (1993) **developmental psychology** (3ed), California: Brooks/ cole pub.
- Sills, d, L (1972), **International encyclopedia of the social sciences** (Eds) Vol., 13, New York : The Macmillan co. &the free press.
- Small, M, Y (1990) **cognitive development**, New York : Harcourt Brace Jovanovich , pub.
- Tversky, A & Kahneman, D (1982) judgment under uncertainty : Heuristics and biases in Kahneman, D; Slovic , P & tversky, **A Judgment under uncertainty** , Cambridge : Cambridge university press , 3-20.
- Verderber, R, F (1991) **The challenge of effective speaking** (8ed) , California : Wadsworth Inc.
- Zechmeister, E, B & Johnson, J, E (1992) **Critical thinking : a functional approach** , California : Broops/ cole pub co.